

طيفُ النَّجَال

تألِيفُ

علي بن الحسين بن موسى

المُلقب بالشريف المرتضى

٤٣٦ - ٣٥٥

تحقيق

محمد سعيد كيلاني

ماجستير كلية الآداب بجامعة القاهرة

ملَّتَنِم الطَّبِيعَ وَالنَّسْخَ

شَرْكَة مَكَّة وَمَطَبَعَة مِصَيَّطْفَى الْبَابِ الْمُحْلَبِي وَأَوْلَادُهُ بِعَصْرٍ

طيفُ النَّجَال

تألِيفُ

علي بن الحسين بن موسى

الملقب بالشريف المرتضى

٤٣٦ - ٣٥٥

تحقيق

محمد سعيد كيلاني

ماجستير كلية الآداب بجامعة القاهرة

ملَّتَنْمَ الطَّبِيعَ وَالنَّسْعَ

شَرْكَةُ مَكَنَّبَةٍ وَمَطَبَّعَةٍ مُصَيَّضَفِي الْبَابِ الْحَلَبِيِّ وَالْأَدَهُ بِمَصْرَ

إهداه الكتاب

إلى العالم الجليل الأستاذ الدكتور طه حسين :

طالعت كثيراً جداً من سير الأدباء القابرين والمعاصرين ،
فلم أر من ضارتك في كرم أخلاقك ، ولا من تفع الناس
كما تفعتهم بعلموك ، فأنت تعيش ، لغيرك ، أكثر مما تعيش
لنفسك ، إنك فلتة من فلتات الزمن .

ولإعجابي بكم ، أهدي هذا الكتاب إليكم .

المخلص

محمد سيد كيلاني



تقديم

كتاب «طيف الخيال» للشريف المرتضى ، من الكتب القيمة التي تنشر لأول مرة ، عن نسخة شمسية ، محفوظة بدار الكتب المصرية ، تحت رقم «١٠٣١٣ ز» ، مأخوذة عن نسخة خطية بمكتبة الأسكندرية ، صفحاتها ثمان ومتناصفة من الحجم الصغير ، جيدة الخط ، فرغ من كتابتها سنة إحدى وتسعين وخمسائة هجرية . وقد جاء على غلافه أنه للشريف الرضي . وسجلته دار الكتب في فهرسها على أنه للشريف الرضي كذلك ، ولكن القارئ سيدرك من أول وهلة ، أن هذا الكتاب من تأليف الشريف المرتضى . فالمؤلف يشير إلى كتابه «الشهاب ، في الشيب والشباب» . وهذا الكتاب كما نعلم للمرتضى ، ثم ينقل عن أخيه شعرا وأخبارا ، بعد أن يترحم عليه . ومعلوم أن الرضي مات قبل أخيه المرتضى .

ونرى في هذا الكتاب موهبة المرتضى في نقد الشعر وفهمه

وتدوّقه . وردوده القوية على الآمدي ، تدل على لفتات بارعة ، ونظرات موفقة . وفي الكتاب جملة من شعر المرتضى ، الذي ضاع ولم يبق منه إلا القليل ، وفيه فوائد أدبية جمة .

أما موضوع الكتاب فهو « طيف الخيال » الذي أكثر الشعراء من ذكره في قصائد़هم الغزلية . وهو موضوع طريف حقا . فقد كان الشاعر العاشق الوهان ، الذي حالت الظروف بينه وبين محبوبته ، يظل مشغولا بهذه المحبوبة ، دائم التفكير فيها . فلذلك كان يراها في النوم ، وينال منها ما يشاء . ثم يتحدث عن ذلك في شعره . فالحديث عن « طيف الخيال » هو حديث عن أحلام كل شاعر بمحبوبته ، وقد كثر هذا في الشعر العربي ، حتى صار موضوعا يحتاج إلى دراسة مستقصية منظمة . ولعل المرتضى أول من تناول هذا الموضوع في كتاب مستقل ، ولكنه لم يستقص كل ما ورد في الشعر عن طيف الخيال ، بل قصر كلامه على شعر أبي تمام والبحترى ، وشعره وشعر أخيه الرضى ، وإن كان قد أشار إلى أبيات قليلة لبعض شعراء آخرين ، مثل قيس بن الخطيم ، والمر بن تولب ، ووازن بين معانى هذه الأبيات وبين ما ورد عند البحترى وأبي تمام .

أما مؤلف هذا الكتاب ؟ فهو أبو القاسم على بن الحسين بن موسى الملقب بالمرتضى .

ولد ببغداد سنة ٣٥٥ هـ ، وبدأ حياته الدراسية بحفظ القرآن على يدي

أبي إسحاق إبراهيم بن أحمد الطبرى "الفقيه المالكى" . ثم درس على أبي عبد الله محمد بن النعan الفقيه الإمامى ، الملقب بالشيخ المفيد ، وبابن المعلم ، بمسجده بالكرخ .

وكان المفيد المتوفى سنة ٤١٣ هـ فقيه الشيعة الإمامية في عصره ، متبحراً في كثير من العلوم ، مبجلاً محترماً ، صاحب منزلة رفيعة عند الملوك والأمراء البوهين ، حتى إن عضد الدولة كان يزوره . ومن تلاميذه الرضى والمرتضى وأبو جعفر الطوسي . وكانت مجالسه حافلة بالعلماء من سائر الطوائف .

وقد ذكره صاحب النجوم الزاهرة^(١) بقوله : « وفيها - ٤١٣ - توفي محمد بن محمد النعan أبو عبدالله فقيه الشيعة ، وشيخ الرافضة وعالمها ، ومصنف الكتب في مذهبها . قرأ عليه الرضى والمرتضى وغيرهما من الرافضة . وكان له منزلة عند بنى بويه وعند ملوك الأطاف الرافضة ». ***

وتلقى المرتضى الاعتزال على يد قاضى القضاة ، عبد الجبار بن أحمد بن عبد الجبار ، أحد شيوخ المعتزلة في عصره ، مؤلف كتاب « المعنى » الذي عرض فيه لتاريخ أبي بكر وعمر وعثمان . وقد ألف المرتضى كتاباً سماه

(١) الجزء الرابع ص ٢٥٨ ط دار الكتب .

« الشافى » ردًا على كتاب المغنى . وقد تضمن هذا الكتاب - كما يظهر لنا مما نقله^(١) ابن أبي الحميد في شرحه - مطاعن فاحشة في الخلفاء الثلاثة بلغت حد إخراجهم من زمرة المسلمين . وهذا ما حمل صاحب النجوم الظاهرة على إطلاق لسانه في المرتضى وأخيه . وقد توفي عبد الجبار سنة ٤١٥ بعد أن عمر طويلاً .

أما النحو وعلوم اللغة فقد تلقاها عن أبي علي الفارسي المتوفى سنة ٣٧٧ ، وابن السيرافي المتوفى سنة ٣٨٥ هـ ، وابن جنى المتوفى سنة ٣٩٢ هـ ، وعلى بن عيسى الرَّبَعِي المتوفى سنة ٤٢٠ هـ .

وكان المرتضى على جانب من التراء ، مكن له من التفرغ للعلم . وقد آلت إليه قبابة الطالبيين بعد وفاة أخيه الرضي . وقد وصفه الشاعري^(٢) بقوله « نقيب العلوين أبو القاسم الملقب بالمرتضى ، علم الهدى ، السيد المشهور بالعلم ، المعروف بالفهم » .

وذكر ياقوت عن أبي جعفر الطوسي^(٣) أنه قال : « توحدَ المرتضى في علوم كثيرة ، مجمع على فضله ، مقدم في العلوم مثل علم الكلام ، والفقه ،

(١) ٢٢٠ ص ٢٢٠ وما بعدها ط مصطفى الحلبي .

(٢) تسمة اليتيمة ١ ص ٥٣ طهران .

(٣) معجم الأدباء ١٣ ص ١٤٧ دار المأمون .

وأصول الفقه ، والأدب ، والنحو ، والشعر ، ومعانى الشعر ، واللغة ، وغير ذلك . وله ديوان شعر يزيد على عشرة آلاف بيت » .

وينسب المرتضى إلى البخل والحرص على المال^(١) . وقد حدث أنه ذهب لزيارة الوزير أبي محمد المهلبي ، فلم يحتفل بقدومه احتفاله بقدوم أخيه الرضي ، حينما زاره عقب انصراف أخيه .

فلما سئل الوزير عن السر في ذلك ، قال: إننا أمرنا بمحفر النهر الفلاني والشريف المرتضى على ذلك النهر ضيعة ، فتوجه عليه من ذلك مقدار ستة عشر درهما أو نحو ذلك ، فكتابني بعده رقاع يسأل في تخفيف ذلك المقدار .

وأما الرضي فبلغني ذات يوم أنه ولد له غلام ، فأرسلت إليه بطبق فيه ألف دينار فرده ... الخ » . وهذه القصة رواها ابن أبي الحديد مع اختلاف يسير .

وجل المؤرخين الذين عرضوا لهذين الرجلين ، يقدمون الرضي على المرتضى . ولا أدرى ما الذي دعاهم إلى هذه المقارنة ، إذ لا يجوز أن يرفع الرضي على حساب أخيه .

(١) مقدمة ديوان الرضي ط بيروت .

وكان تحدث أحياناً بين المرتضى وأخيه جمدة وقطيعة، فيبدأ المرتضى بنظم قصيدة يعاتب فيها أخاه، فيرد عليه بقصيدة، ثم لا يلبث الصفاء أن يعود بين الأخرين، فيخرجان مع بعض أصدقائهما للتنزه، أو يجتمعان في مجلس أنس وطرب، أو مجلس علم.

وكان المرتضى تحب أخاه حباً جماً، حتى إنه لم يستطع أن ينظر إلى تابوت أخيه حين توفي أو يحضر دفنه، بل مضى إلى مشهد موسى ابن جعفر الكاظم، وبقي به إلى آخر النهار، إلى أن ذهب الوزير فخر الملك أبو غالب، وألزمه العودة إلى داره.

وقد نظم الشريف المرتضى شعراً كثيراً في الشيب وذمه، وألف كتاباً خاصاً سماه: «الشهاب، في الشيب والشباب».

ومن قرأ شعر أخيه الرضي وجده يكثر من ذكر الشيب وذمه.

وهكذا اشترك الأخوان في هذا الباب، وسارا معاً على وتيرة واحدة. فكل منهما يرى أن الشيب باب إلى الموت، وطريق إلى القبر. وها يسخنان من الوقار الذي يصبح المشيب، ويريان أنه لا خير فيه.

وفي شعرها الغزلى تشبه في المنهج والأسلوب واشتراك في المعنى

فكلالها تغزل بالأعرايات ، وذكر نجدا والخيام ، وأرض بابل والنسيم
وغير ذلك .

ومن مؤلفات المرتضى التي وصلت إلينا :

١ - الأمالي ، وهو أشهر كتبه .

٢ - الشهاب ، في الشيب والشباب - طبع في الأستانة

سنة ١٣٠٣ .

٣ - طيف الخيال الذي نضعه بين يدي القارئ .

والمرتضى شديد الإعجاب بشعره ، كثير الإطراء له ، يزعم أنه أنى
في هذا الباب بما لم يسبق إليه .

أما بعد : فإنني أرجو أن يستفيد القراء من هذا الكتاب ، والله
الموفق .

محمد سيد كيمونى

مقدمة المؤلف

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وبه نستعين

الحمد لله على ما أعطى من فهم ، وآتى من علم ، وصفي من بصيرة ،
وعفٌ من جريدة ، ويسّر من طلب ، وسّئ من أدب ، وصلى الله على
سيد المرسلين نبيه محمد وآلـه الطاهرين ، صلاة تكون لحقوقهم كفوا
ووفاء .

ومن بعد ، فإنـي وقفت على ما ذكرته ، أمدـك الله بتوقيـته
وتسديـده ، من شفـقـك بما اطـلـعـتـ عـلـيـهـ منـ كـتابـيـ فيـ «ـ الشـيبـ »ـ وـ إـعـجابـهـ
لـكـ ، وـ إـطـراـبـهـ إـيـاـكـ .ـ وـ أـنـكـ اـسـتـغـزـلـتـ قـائـدـتـهـ ،ـ وـ اـسـتـغـربـتـ طـرـيقـتـهـ ،ـ
وـ دـعـائـكـ مـاـ وـاقـفتـ عـلـيـهـ مـنـهـ ،ـ إـلـىـ التـاسـ كـتابـ فـيـ أـوـصـافـ «ـ طـيفـ الـخيـالـ »ـ .ـ
نـسـلـكـ فـيـ هـذـاـ المـهـجـ ،ـ وـ نـخـرـجـهـ هـذـاـ الخـرـجـ ،ـ فـإـنـهـ أـيـضاـ بـابـ قـائـمـ
بـنـفـسـهـ ،ـ قـدـ أـطـالـ الشـعـرـاءـ فـيـهـ وـأـقـصـرـواـ ،ـ وـأـصـابـواـ وـأـخـطـنـواـ ،ـ وـتـصـرـفـواـ

وتفنوا . وقد رأيت الإجابة إلى سؤالك ، على ضيق زمانى وقلبي ،
وكلال فكري ، وكثرة هموم صدرى ، وأن أعتمد على إخراج ما في
ديوانى الطائين ، ثم ما في ديوانى شعري وشعر أخي ، نصر الله وجهه ،
وأحسن منقلبه ، فأناقله على جهته ، من غير إخلال بشيء منه ، وأتكلم
على معانيه ومقاصده ، منظراً بين نظائره ، كاشفاً عن دفائه
وسرائره ، حسبما فعلته في كتاب «الشيب» . ولأبي تمام في هذا
المعنى التافه اليسير ، فإنه ما عنى به ، ولا رزق منه . أما البحترى فإنه
كان مغرياً متيناً بالقول في الطيف ، فأكثر فيه وأغزر ، مع تجويد وإحسان
وافتنان ، وتصرف فيه تصرف المالكين ، وتمكن منه تمكن
القادرين . وسأنبه على موضع إحسانه ، ومواضع إغرابه ، بإذن الله .

وما يفيد تقديمه أن «الطيف» قد يوصف بالمدح تارة ، وبالذم
أخرى . ول مدحه وجوه متشعبة .

فما يمدح به أنه يعلل المشتاق المغرم ، ويمسك رمق المعنى المسقم ،
ويكون الاستمتاع به والانتفاع به ، وهو زور وباطل ، كالانتفاع
لو كان حقاً يقيناً . وهل فرق بين لذة الخيال في حال تمنيلها وتخيلها ،
 وبين لذة اللقاء الصحيح ، والوصال الصريح . وبعد زوال الأمرين ، ومفارقة
الحالين ، ما أجدهما في فقد متعته ، وزوال منفعته ، إلا كصاحبه .

ومما يمدح به ، أنه زيارة من غير وعد يخشى مطالعه ، ويختلف عليه وفاته . وللذة التي لم

تحسب ولم ترقب، يتضاعف بها الالتزام والاستمتع ، وأنه وصل من قاطع ، وزيارة من هاجر ، وعطاء من مانع ، وبذل من ضئيل ، وجود من بخيل . وللشىء بعد ضيده من النفوس موقع معروف غير مجهول .

ومن مليح مدحه وغريبه : أنه لقاء واجتاع لا يشعر الرقباء بهما ، ولا يخشى منع منها ، ولا اطلاع عليها . والتهمة بهما زائدة ، والريبة عنهم عادلة .

وأنه تمنع وتلاذذ لا يتعلق بهما تحريم ، ولا يدنو إليهما تأثير ، ولا عيب فيهما ولا عار ، وقد قاما مقاما فيه ذلك أجمع . وهذا المعنى الأخير مما عندي أنني سبق إليه ، ومبتدئ به ، لأنني مارأيته إلى الآن لأحد في نظم ولا نثر . وقد تعجب الشعراء كثيراً من زيارة الطيف على بعد الدار ، وشحط المزار ، ووعرة الطرق ، واحتياه السبل ، واهتدائه إلى المصاجع من غير هاد يرشده ، وعارض يغضده؛ وكيف قطع بعيد المسافة بلا حافر ولا خف ، في أقرب مدة ، وأسرع زمان؟! لأن الشعراء فرضت أن زيارة للطيف حقيقة ، وأنها في النوم كالحقيقة ، فلا بد مع ذلك من العَجَب مما تعجبوا منه ، من طى بعيد بغیر رکاب ، وجوب البلاد بلا أصحاب . ومن المعانى المقصودة في الطيف ، أن يلم بذكر ماهيتها وسببه ، والمقتضى لتخيله وتصوره ، كما قال أبو تمام :

نَمْ فَا زَارَكَ الْخَيَالُ وَلَكِنَّكَ بِالْفِكْرِ زُرْتَ طَيفَ الْخَيَالِ

وَكَا قُلْتَ :

وَعَهْدِي بِتَمْوِيهِ عَيْنِ الْحَبَّ تَمَّ عَلَى قُلْبِي الطَّائِرِ
فَلَمَّا التَّقَيْنَا بِرَغْمِ الرُّشْقَا دِمْوَهَ قُلْبِي عَلَى نَاظِرِي
وَهَذَا الْمَعْنَى أَيْضًا ، هَمَا ابْتَدَعْتَهُ وَأَخْتَرْتَهُ فِي وَصْفِ الْطَّيفِ ، لِأَنِّي
مَا عَلِمْتُ سَابِقًا إِلَيْهِ ، وَعَاثَرَ بِهِ .

فَأَمَا ذَمُ الْطَّيفِ ، فَإِنَّهُ قَدْ يَذْمُمُ بِأَنَّهُ باطِلٌ وَغَرُورٌ ، وَمَحَالٌ وَزُورٌ ،
وَلَا اِنْتِفَاعٌ بِهِ لَا أَصْلٌ لَهُ ، وَإِنَّمَا هُوَ كَالسَّرَابُ الْلَامِعُ ، وَكُلُّ
تَحْمِيلٍ فَاسِدٌ .

وَرَبِّمَا ذَمَ بِأَنَّهُ سَرِيعُ الزَّوَالِ ، وَشِيكُ الْاِنْتِقالِ ، وَبِأَنَّهُ يَهْبِطُ
الشَّوْقَ السَّاکِنَ ، وَيُضْرِمُ الْوَجْدَ الْخَادِمَ ، وَيَذْكُرُ بَغْرَامَ كَانَ صَاحِبَهُ
عَنْهُ لَاهِيَا وَسَاهِيَا .

وَهَذِهِ الْمَعْنَى فِي الْمَدْحِ وَالْذَمِّ قَدْ تَتَشَعَّبُ وَتَتَرَكُ وَتَمْزَجُ ، فَيَتَولَّدُ
يَنْهَا مِنَ الْمَعْنَى مَا لَا يَنْحَصِرُ وَلَا يَنْضَبِطُ ، بِحَسْبِ قُوَّةِ طَبَاعِ الشَّاعِرِ ،
وَصَحةِ قَرِيمَتِهِ وَغَرِيزَتِهِ . وَسَتَشَرِّفُ مَا أَذْكُرُ ، وَأَوْفَظُ عَلَى مَعْنَاهِهِ ، وَأَخْرُجُ
مَكَامِنِهِ ، عَلَى جَمِيعِ مَا تَحْتَاجُ إِلَيْهِ فِي هَذَا الْبَابِ ، بِمَشِيشَةِ اللَّهِ تَعَالَى . وَمِنَ اللَّهِ
أَسْتَدِي الْمَعْوَنَةَ وَالتَّوْفِيقَ ، وَهُوَ حَسْبِي وَنَعْمَ الْوَكِيلُ .

ما جاء في طيف الخيال

قال أبو تمام حبيب بن أوس الطائي ، من جملة قصيدة :

زارَ الْخِيَالُ لَهَا ، لَا بَلْ أَزَارَ كَهْ فِكْرٌ إِذَا فَانَ فِكْرُ الْخَلْقِ لَمْ يَبْرَ ظَاهِيَ تَقْنَصَتُهُ لَا نَصَبَتُ لَهُ مِنْ آخِرِ اللَّيلِ أَشْرَاكًا مِنَ الْحَلْمِ
ثُمَّ اغْتَدَى وَبَنَا مِنْ ذِكْرِهِ سَقَمٌ باقِ وَإِنْ كَانَ مَمْسُولًا مِنَ السَّقَمِ^(١)

ووُجِدتْ أبا القاسم الحسن بن بشير الأدمي يتكلم على هذه الأبيات بما أنا أذكره ، ومبين ما فيه . قال : (إن قوله « زارَ الْخِيَالُ لَهَا ، لَا بَلْ أَزَارَ كَهْ » ليس بالجيد ، لأنَّه إذا أزَارَه الفَكْر فقد زار . فما وَجَه الاستدراك ؟ فـ كأنَّه أراد أنَّ الْخِيَال لم يعتمد الزيارة ، وإنما أزَارَه الفَكْر . ومثله قام زيد ، لا بل أقوته . وكأنَّ قائل هذا يريد ما اعتمد زيد القيام ، بل أقوته أنا) .

وأقول : إنَّ الأدمي عاب هذا البيت ثُمَّ اعتذر لقائله بما هو العذر الصحيح الذي يخرجه من أن يكون معينا . فـ كـ أي معنى لقوله إنه ليس بالجيد ؟ وقد فطن من غرضه لما فيه العذر ، وزوال العيب والقدح . فـ كـ أنه جمع بين الشيء وضده . وإنما يعيب بما ذكره من لم يفطن لما فطـن له . وقوله « زارَ الْخِيَالُ » إضافة الزيارة إلى

(١) من قصيدة ي مدح بها محمد بن عبد الله بن طاهر (ديوانه ٢ : ٤٢) .

الخيال . والظاهر من قول القائل « قام زيد » إضافة القيام إليه على سبيل الاختيار . فيجوز أن يستدرك قائل هذا القول على نفسه ، فيقول عقب قوله « زار الخيال » ، بل أزاركه كذا وكذا . وعقب قوله « قام زيد » ، بل أقامه فلان ، لأنه استدراك صحيح ، واقع في موقعه . وليس لأحد أن يخالف في هذه الجملة . ويدعى أن قول القائل « قام زيد » إنما يفيد حصوله على هذه الصفة . ولا يفيد أنه باختياره وإشارته ، دون حمل حامل . وبعث باعث . لأن هذا إذا سُلِّمَ على مافيه . كان الاستدراك في موضعه أيضاً . لأنه إذا قال « زار الخيال » واحتمل هذا القول زيارة الاختيار ، من غير بعث باعث ، واحتمل وقوع الزيارة عن حمل حامل ، وقد قائد ، جاز أن يزيل هذا القائل الاحتمال والإبهام . فيقول : « لا بل أزاركه كذا وكذا » ، وهذا مالا شبهة فيه . ثم قال الأميدى : « ويروى : إذا نام فكر الخلق لم يتم » . ثم قال : (لم يرد حقيقة النوم ، وإنما أراد لم يفترون لم يسكن ، كما يقال فلان لا ينام عن هذا الأمر ، أي لا يفتر عنه ولا يقصّر) . ويقول إن الرواية التي ذكرها في إبدال لفظة الخلق بالحلو لا بأس بها ، وإن كان لفظ الخلق أعم وأوْكَد في المعنى المقصود ، فإن الحلو ، يدخل في جملة الخلق ، ولا يدخل الخلق في معنى لفظ الحلو . والذى فسره في نفي النوم ، أنه إنما أراد الفتور والسكون ، ظاهر ، لا يشكل مثله فيفسر . ثم قال : (قوله « من آخر الليل » ولم يقل « من أول الليل » : يريد أنه لا ينام بالليل وأنه يسهره . وإنما يهؤم^(١))

(١) هوم الرجل تهويماً : إذا هز رأسه من النعاس .

في آخره تهويما، فيطرقه الخيال في ذلك الوقت) ثم قال: (قوله « وإن كان مسؤولا من السقم »: أى وإن كان حلوا من الأقسام: أى ممزوجا بالعسل . ويرويه قوم : « وإن كان مسؤولا من السقم ». وليس بشيء). قال الآمدي: « وهذه الأبيات حسان ، وغرض صحيح مستقيم». ونقول: إن الذي قاله الآمدي في معنى تخصيصه آخر الليل دون باقيه ، جائز ، ممكن أن يكون مقصودا . وفيه وجه آخر ، وهو أن الخيال لا يطرق في العادة إلا مع وفور النوم وغزارته والاستقال فيه . وهذا إنما يكون في أواخر الليل ، ومع استمرار النوم وطول زمانه ، فلهذا حَصْ آخر الليل . وفسر قوله « كان مسؤولا من السقم » ، مع أنه واضح لا يشكل وترك تفسير المشكل ، وهو أن يقال: كيف استحل هذا السقم والتذه ، حتى جعله مسؤولا ، وكأنه ممزوج بالعسل ، والسمق لا يستحل . والوجه في ذلك أن السبب في ذكره للخيال ، وشوقه إليه ، وأسفه على فراقه ، الذي جعل سقا من حيث كان مؤلما ، لما كان هو طرق الخيال ، وتمثله له وتخيله . وكان ذلك التخيل والتصور ملذا ممتعا ، مستحل مستعدا ، جعل المسبب عنه من التألم بقوته بمزنته . فقد يوصف المسبب بأوصاف السبب ، للعلاقة التي بينهما ، والاتصال الذي يجمعهما . وما رأيناه أثني على البيت الثاني من هذه القطعة ، ولا مدحه بما يسميه من المدح ، فإنه في غاية الحلاوة والطلاؤة ، وسلامة الألفاظ ، وعدو به النسج . وقدح في البيت الأول بما ليس يقدح على اعترافه ، فليته

جمع بين القذح المقدوح ، والمدح للمدوح . فain قال : قد مدحت جملة الأبيات ، وقلت إنها حسان ، وأغراضها مستقيمة . قلت : هذا مدح تكلفته ، وما نراك إذا أُعجبتك وأطربتك معنى للبحترى ، تقتصر على هذا القدر من المدح . وقد كان ينبغي أن تخصل البيت الثاني بزيادة الإطراء والمدح ، وتوظف على جودة طرحة وسبكه ، فإنه لا يجري بجرى ما تقدم عليه ولا تأخر عنه ، وما فعلت ذلك .

وقال أبو تمام أيضا من قصيدة :

عادَكَ الزَّوْرُ ليلةَ الرَّمَلِ مِنْ رَمَلَةَ بَيْنَ الْحَمَى وَبَيْنَ الْمَطَالِ
تَمَّ فَا زَارَكَ الْخِيَالُ وَلَكِنْكَ بِالْفَكْرِ زُرْتَ طِيفَ الْخِيَالِ^(١)
قال الأمدي : (قد أكثر أصحاب أبي تمام الفخر بهذا البيت ، والتنوي به
ذكره ، وأفروطا في استحسانه ، وقالوا كشف عن العلة في طرائق الخيال ،
وبين عن المعنى) . قال : والبيت حسن ، وإنما أخذ معناه من قول
جران العود :

أهلاً بطيفكِ من زَوْرٍ أتاكَ بِهِ حديثُ نَفْسِكَ عَنْهُ وَهُوَ مَشْغُولٌ

قوله « وهو مشغول » : أي أنه لم يزرك على الحقيقة ، فبني أبو تمام من هذا
قوله « ما زارك الخيال » ، وبني من قوله « أتاك به حديث نفسك » قوله

(١) ديوان أبي تمام طبع بيروت ١٨٨٩ ص ٤١٠ .

« ولَكُنْكَ بِالْفَكْرِ زَرْتَ طَيْفَ الْخَيَالِ » : فَالْمَعْنَى كُلُّهُ لِجَرَانِ الْعَوْدِ، وَإِنَّمَا
غَيْرَ أَبُو تَمَامِ الْفَظْ .

وَمَا كَانَ عِنْدِي أَنْ شَهِدَ يَذْهَبُ عَلَيْهِ مَا قَصْدَهُ أَبُو تَمَامَ مَعْنَى وَضْوَحَهُ . وَمَعْنَى
« وَهُوَ مُشْغُولٌ » : أَيْ وَهُوَ مُشْغُولٌ عَنْكَ ، لَا تَخْطُرُ بِيَاهُ ، وَلَا يَحْدُثُ فَسْهُ
بَكَ . كَمَا تَحْدُثُ نَفْسَكَ بَهُ ، وَيَخْطُرُ بِيَالِكَ وَلَا يَفْارِقُ ذَكْرَكَ . وَأَرَادَ أَنْ يَقُولَ :
قَوْلُهُ : حَدِيثُ نَفْسَكَ عَنْهُ الَّذِي جَعَلَهُ سَبِيلًا لِلطَّيْفِ وَالْتَّخْيِيلِ ، فَقَابِلٌ بِقَوْلِهِ « وَهُوَ
مُشْغُولٌ » : أَيْ لَا يَحْدُثُ نَفْسَهُ بَكَ ، كَمَا تَحْدُثُ نَفْسَكَ بَهُ .

فَأَمَّا طَعْنُ الْآمِدِيِّ عَلَى الْأَيَّاتِ الْمَيْمِيَّةِ الَّتِي لَأَبِي تَمَامَ ، وَدُعْوَاهُ أَنَّهُ
لَا حَلَاوَةُ لَهَا وَلَا طَلَاوَةُ ، فَنَقْبَحُ الْعَصْبِيَّةَ ، لِأَنَّ قَوْلَهُ :

اللَّيَالِي أَحَقُّ بِقَدْبِي إِذَا مَا جَرَّحَتْهُ النَّوَى مِنَ الْأَيَّامِ

صَحِيحُ الْوَضْعِ ، مَلِيحُ الْمَعْنَى ، لِأَنَّهُ إِذَا كَانَ لَا تَلَاقَ بَيْنِهِ وَبَيْنِ مَحْبُوبِهِ
نَهَارًا ، وَلَا وَصْلًا وَلَا قَرْبًا ، وَأَنْ ذَلِكَ كُلُّهُ يَكُونُ لَيْلًا ؟ فَاللَّيْلُ أَنْفَعُ لَهُ مِنْ
النَّهَارِ وَأَمْنَعُ . وَأَيْ شَيْءٍ يَرَادُ مِنْ أَبِي تَمَامَ أَنْ يَنْتَهِي إِلَيْهِ فِي هَذَا الْبَيْتِ
أَكْثَرُ مِنْ هَذَا ؟ وَأَمَّا الْبَيْتُ الثَّانِي فِي جَيْدُ الْمَعْنَى ، مَلِيحُ الْفَظْ . وَمِنْ عَذْبِ الْفَظْ
وَغَرِيبِهِ قَوْلُهُ « سِرِّاً مِنَ الْأَجْسَامِ » لِأَنَّهُ لَا حَظَّ لِلْأَجْسَامِ ، فِي الْاِتِّفَاعِ
بِطَيْفِ الْخَيَالِ ، وَجَعَلَ ذَلِكَ الْمَثَيِّلَ وَالْتَّخْيِيلَ إِنَّمَا هُوَ لِلْأَرْوَاحِ ، مَنْفَرَدَةٌ عَنِ
الْأَجْسَامِ ، عَلَى مَذْهَبِ مَنْ يَرَى مِنَ الْفَلَاسِفَةِ أَنَّ السَّبَبَ فِي رَؤْيَا الْمَنَامِ ،
طَلَاعَ النَّفْسِ مِنْ عَالَمِهَا عَلَى مَا يَكُونُ مِنَ الْأَمْوَارِ ، وَيَجْعَلُونَ لِلنَّفْسِ ثِيَابًا

وَقُوَاماً مِنْ غَيْرِ تَوْسِطِ الْجَسَدِ . وَهَذَا، وَإِنْ كَانَ مَذَهِبُهَا بَاطِلًا ، فَقَدْ دَلَّتِ الأَدْلَةُ
الصَّحِيحَةُ عَلَى فَسَادِهِ ، فَيُجُوزُ أَنْ يَسْتَعْرِفَ الشَّاعِرُ فِي بَعْضِ كَلَامِهِ تَعْرِيْبًا
وَتَقْرِيْبًا .

قال - أَدَمُ اللَّهُ عَلَوْهُ - وَلِي عَلَى هَذَا الْبَيْتِ فِي وَصْفِ الْخَيْالِ :

تَلَاقَنَا بِأَرْوَاحِنَا وَفَارَقَنَا بِأَجْسَادِنَا

وَقَالَ - أَدَمُ اللَّهُ عَلَوْهُ - وَسْتَجِيْعُهُ هَذِهِ الْأَبْيَاتُ فِيهَا أُخْرَجَهُ مِنْ دِيْوَانِ
شِعْرِيْ بِمَشِيْشَةِ اللَّهِ .

فَأَمَّا الْبَيْتُ الثَّالِثُ الَّذِي أَوْلَهُ « جَلْسٌ » لَمْ يَكُنْ لَنَا فِيهِ عِيبٌ «
فَهُوَ قَرِيبٌ ، وَلَيْسَ يَهْجُنُهُ إِلَّا لِفَظَةُ الدُّعْوَةِ ، فَإِنَّهَا كَلْمَةٌ عَامِيَّةٌ ، قَلَّمَا
يَسْتَعْمِلُهَا فَصَحَّاءُ الشِّعْرَاءِ . فَالطَّعْنُ عَلَى هَذِهِ الْأَبْيَاتِ عَلَى مَا بَيْنَاهُ عَصَبِيَّةٌ
ظَاهِرَةٌ . وَلِي فِي تَحْقِيقِ السَّبْبِ فِي طَيفِ الْخَيْالِ ، وَنَفِي أَنْ تَكُونَ زِيَارَتَهُ
حَقِيقِيَّةً ، مَا هُوَ أَجْوَدُ مِنْ قَوْلِ أَبِي تَمَّامٍ :

* زَارَ الْخَيْالُ هَا ، لَا بَلْ أَزَارَ كَهُ *

وَمِنْ قَوْلِهِ :

نَمْ فَا زَارَكَ الْخَيْالُ وَلَكِنَّكَ بِالْفِكْرِ رُزْتَ طَيفَ الْخَيْالِ
وَهُوَ قَوْلُهُ :

زارَ وَمَا زَارَ سِوَى ذِكْرِهِ وَبَيْنَنَا دَاوِيَّةُ^(١) سَمْلَقُ

(١) الدَّاوِيَّةُ : الصَّحْرَاءُ الْمُتَرَامِيَّةُ الْأَطْرَافُ . وَالسَّمْلَقُ الْمَيْمَانِيُّ الْمُنْهَى فِيهَا .

وقولى أيضاً :

حتى التقينا على رَغْمِ الرُّقادِ وَمَا ذَلِكَ الْلَقَاءُ سِوَى وَسُوَاسِ ذِكْرِ الْكِتَابِ
 أما سلب الطيف العلم بما وقع الانتفاع به منه ، وأنه لا يدرى ولا
 يشعر به ، فالبحترى يعيده ويبديه . ويأتى في شعرى منه الكثير بصور مختلفة ،
 وصيغ غير مشتبهه . ومع الاشتراك فى المعانى ، إنما يقع الإحسان فى حسن
 النسج ، وسلامة السبك ، وأن تكون العبارة عن ذلك المعنى ناصعة ،
 وفي القلوب متقبلة .

وقال البحترى أيضاً :

إِنَّ رَيْأِاً لَمْ تَسْقِ رِيَّاً مِنَ الْوَصْلِ لَمْ تَذَرِّ ما هَوَى^(١) الْعُشَاقِ
 بَعَثَتْ طِيفَهَا إِلَيَّ وَدُونِيَ وَحْدُ شَهْرَيْنِ لِلْمَهَارِي الْعِتَاقِ^(٢)
 زَارَ وَهُنَّا مِنَ الشَّامِ فَحِيَا مُسْتَهَاماً صَبَا بِأَرْضِ^(٣) الْعِرَاقِ
 فَقَضَى مَا قَضَى وَعَادَ إِلَيْهَا وَالدُّجَى فِي بُرُودِهِ^(٤) الْأَخْلَاقِ
 قَدْ أَخَذْنَا مِنَ التَّلَاقِ^(٥) بِحَظِّيَ وَالتَّلَاقِ فِي النَّوْمِ عِدْلُ التَّلَاقِ^(٦)

يعنى بقوله : « عِدْلُ التَّلَاقِ » : في الحقيقة ، أى في اليقظة . وهذه

(١) ديوانه : جوى . (٢) المهاري : جمع مهارية ، وهى الإبل المنسوبة
 لمهرة بن حيدان ، وهم حى عظيم . والعتاق : الكريمات الأصول .

(٣) ديوانه : بُاعلى . (٤) ديوانه : ثيابه . (٥) ديوانه : اللقاء .

(٦) من قصيدة له يمدح بها أبا نهشل (ديوانه طبع هندية بالموسكي ٢ : ١٣٧) .

الأبيات لا شبهة على متعصب ، فضلا عن منصف ، في حسنها ونحوها .

وقال أيضا :

وَزَارَ زَارَ مِنْ أَعْقَتِهِ يَمِيلُ وَزَنًا بِأَنْسِهِ دُعْرَهُ
كَانَهُ جَاءَ مُنْجِزاً عِدَّهُ وَبَثَ فِي الرَّاقِينَ أَنْتَظِرَهُ
لَمْ أَنْسَهُ مُوشِكًا عَلَى رَجُلٍ مُدَاجِحًا لِلْمَحْدِيثِ يَخْتَصِرُهُ
كَائِنًا الْكَاشِحُونَ قَدْ خَرَصُوا مَكَانَهُ أَوْ أَتَاهُمْ حَبْرَهُ^(١)

ومن العجب أن الآمدي ذكر أن هذه الأبيات أحسن وأحلى من التي هي قبلها . والأمر بخلاف ما ظنه ، لأن أبيات «القافية» أطبع وأنفع ، وأبعد من الكلفة ، والصنعة فيها أخفى ، وكلامها أحلى . وهذه الأبيات الرائية معانيها أجود من ألفاظها ، وتظهر فيها بعض كلفة الصنعة ، وهي مع ذلك في غاية الحسن ، إلا أن تفضيلها على الأولى غير صحيح . وأما قوله «يميل وزنا بأنسه دُعْرَه» فإما يريد به أن دعره أرجح وأزيد من أنه . فاما قوله «قد خَرَصُوا مَكَانَهُ» فإما يريد أنهم قد حَرَرُوا مكانه ، وسبق ظهورهم إليه ، من الخرص ، الذي هو حَرْث نمرة النخل ، لامن الخرص الذي هو الكذب . وهذه الأبيات ليست خاصة لوصف الطيف ، بل يجوز أن يكون المراد بها زائر زار في القيظة . فالكلام محتمل في الطيف وغيره .

(١) الأبيات ليست في نسخة الديوان طبعة هندية ، وله شعر كثير لم ينشر بعد .

وقال البحترى أيا من قصيدة :

إِنَّ الْعَمِيدَ صَبَابَةَ مَنْ لَا يَنِي
 يَدْعُو صَبَابَةَ الْخَيَالِ إِذَا سَرَى
 تَدْرِينَ كَمْ مِنْ زَوْرَةٍ مَشْكُورَةٍ
 مِنْ زَأْرٍ وَهَبَ الْخَطِيرَ وَمَا دَرَى
 غَابَ الْوَشَاءُ فَبَاتَ يَسْهُلُ مَطْلَبُ
 لَوْيَشْهَدُونَ طَرِيقَهُ لَتَوَعَّرَاهُ
 كَانَ الْكَرَى حَظَّ الْعَيْنَ وَلَمْ أَخْلَ
 أَنَّ الْقُلُوبَ لَهُنَّ حَظٌ فِي الْكَرَى
 دَمْعٌ تَعَاقَبَ بِالشَّئْوَنِ فَلَمْ يَرَلْهُ
 بَرْحُ الْفَرَامِ يَسْوَقُهُ حَتَّى جَرَى
 قَامَتْ يَمْنَيْنِي الْوِصَالِ اِتَّبَعَتِي
 جَدَلِي وَحَاجَةُ أَكْمَهُ أَنْ يُبَصِّرَا
 مَنَّيْتِنَا عَدَلًا وَمَا أَنْهَلَتِنَا
 وَالْوَقْتُ لَيْسَ يُحِيلُ حَتَّى يُشَهِرَا
 تَالَّهُ لَمْ أَرَ مُذْ رَأَيْتُ كَلِيمَتِي
 فِي الْعَلْثِ إِلَّا لَيْلَتِي فِي عُكْبَرَا
 أَهْوَى الظَّلَامَ وَأَنَّ أَمَلَاهُ وَقَدْ
 حَدَرَ الصَّبَاحُ نَقَابَهُ أَوْ أَسْفَرَ^(١)

قال الأَمْدِي : « وهذا لعمرى القول الذى لو وردته الظمان لروى ،
 لـكثرة مائته ». وأقول : إنه قد تقدم فيها أوردناء للبحترى من هذا الباب ،
 ما هو من هذه الأبيات أنفع وأطبع ، وأحلى وأعلى ، وأعقب بالقلوب ،
 وأعلق بالتنفوس . فاما قوله :

كَانَ الْكَرَى حَظَّ الْعَيْنَ وَلَمْ أَخْلَ
 أَنَّ الْقُلُوبَ لَهُنَّ حَظٌ فِي الْكَرَى
 فَلَقَائِلَ أَنْ يَقُولُ : أَى حَظٌ لِلْقُلُوبِ فِي الْكَرَى لَمْ يَخْلُهُ شَمْ وَجْدَهُ ؟
 وَأَى حَظٌ مَعْهُودٌ لِلْعَيْنِ مِنَ الْكَرَى ؟ فَإِنَّ هَذَا لَيْسَ يَبْيَنُ فِي كَلَامِهِ .

(١) ديوانه طبع هندية (٢١: ٢) . من قصيدة يمدح بها إسحاق بن كنداح .

والجواب : أن العيون من حيث تَوَدَّعت وسكتت عن موالة النظر والتحديق المتعين لها : كان لها بذلك حظٌ من الكري دون القلوب . فإن خواطر القلوب وأفعالها تكون في النوم واليقظة . وما تزداد له العيون لا يكون في اليقظة دون النوم . ولما كان الخيال في النوم يتمثل للقلب ويُتخيل ، فيسر القلب بذلك التخييل ، ويعتقد حقيقة ، ويلتذ به عاجلاً ، وينتفع به ، كان للقلوب حظ في الكري لم يكن في حسابه . وهذا تدقيق منه .

وأما قوله :

مَنْيَتِنَا عَلَّا وَمَا أَهْلَتِنَا وَالْوَقْتُ لَيْسَ يُحِيلُ حَتَّى يُشْهِرَ
فالعلل هو الشرب الثاني . والنَّهَل هو الشرب الأول . يعجب من أنها تمنيه الشرب الثاني ، ولم يكن منها شرب أول . ومن لم ينهل لم يُعل ، كما أن الزمان لا يحييل ، بأن يصير حولاً حتى يُشهر ، بمعنى أنه يكون شهراً فإن الشهر قبل الحول . كما أن النَّهَل قبل العل . فاما قوله : «أهوى الظلام وأن أملأه» : فما زالت الشعراة تمنى الليل والنوم فيه اطرق الطيف . واعتدنا ليلاً ، فجعلوه مختصاً بالاعتياض والطريق ليلاً . ولم يستعمل الشعراة ذلك في قديم ولا حديث ، إلا فيما ذكرناه . قال امرؤ القيس :

* تأو بني دائى القديم فغلسا *

والشاهد على هذا أكثر من أن تُحصى . والبيت الخامس عليه رونق

الإِحْسَانُ ، وَ الصَّفَةُ فِيهِ كَثُرًا مَفْقُودَةٌ ؛ لِلطَّبَعِ الْمُتَدَفِّقِ ، وَ الْمَاءِ الْمُتَرْقِقِ

وَقَالَ الْبَحْتَرِيُّ أَيْضًا مِنْ قَصِيدَةٍ^(١) :

أَمَارَ أَعْكَبَ الْحَيَّ الْخِلَالُ بِهَجْرِهِمْ وَهُمْ لَكَ غَدُواً بِالْتَفَرْقِ أَرْوَعُ
بَلَى ، وَخِيَالٌ مِنْ أَثِيلَةٍ^(٢) كَلَمَا تَأْوَهْتُ مِنْ وَجْدٍ تَعَرَّضَ يَطْمَعُ
إِذَا زَوْرَةٌ مِنْهُمْ تَقَضَّتْ مَعَ الْكَرَى
تَرَى مُقْلَاتِي مَا لَا تَرَى فِي لِقَائِهِ
وَتَسْمَعُ أَذْنِي رَجْعَ مَا لَيْسَ تَسْمَعُ
وَيَكْفِيكَ مِنْ حَقِّ تَحْيَيلٍ باطِلٍ تُرَدُّ بِهِ نَفْسُ الْلَّهِيفِ فِي رَجْعٍ

قال الأَمْدَى : (ولست أقول في هذا إلا ما كان البحتري يقوله) وحدثنا
بِهِ أَبُو عَلَى مُحَمَّدُ بْنُ الْعَلَاءِ السِّجِّيْسْتَانِيُّ أَنَّهُ كَانَ إِذَا شَرَبَ وَسَكَرَ ، أَنْشَدَهُ
مَثْلَ هَذَا وَأَشْبَاهُهُ مِنْ شِعْرِهِ ، وَقَالَ : « أَلَا تَسْمَعُونَ ؟ أَلَا تَعْجِبُونَ ؟ ». .
وَيَقُولُ : إِنَّ الْأَيْيَاتِ نَاصِعَةُ الْجَمَالِ ، بَعِيدَةُ الْمَنَالِ . . وَفِي الْبَيْتِ الْآخِيرِ
الَّذِي أَوْلَهُ :

* وَيَكْفِيكَ مِنْ حَقِّ تَحْيَيلٍ باطِلٍ *

معنى جليل القدر ، تقليل الوزن ، له غور عميق ، وأُسْ وَثيق . . وإنما
أَرَادَ الْبَحْتَرِيُّ : أَنَّ الَّذِي يَرَادُ مِنَ الْحَقِّ مِنْ بَلَّ الْفَلَةِ ، وَإِمساكِ الرَّمَقِ ،

(١) يُدْحِيْهَا أَبَا عَيْسَى بْنُ صَاعِدٍ (دِيْوَانُهُ ٢ : ٨٧) .

(٢) دِيْوَانُهُ : قَبْيلَةٌ ، فِي مَكَانٍ : أَثِيلَةٌ .

وتنزع النفس ، هو في هذا الباطل : فقد تساويا في الغرض المقصود ، وقام الحق فيه مقام الباطل .

وقال البحترى أيضًا^(١) :

أَخِيَالَ عَلْوَةَ كَيْفَ زُرْتَ وَعِنْدَنَا أَرْقُ يُشَرَّدُ بِالْخِيَالِ الزَّائِرِ
 طِيفٌ أَمْ بَنَا وَنَحْنُ بِمَهْمَهٍ قَفْرٌ^(٢) يُشَقُّ عَلَى الْمُلْكِ الْخَاطِرِ
 أَفْضَى إِلَى شُعْثٍ تُطِيزُ كَرَاهِمُ رَوْحَاتُ قُودٍ كَالْقِسْيِ ضَوَامِرٍ
 حَتَّى إِذَا نَزَّعُوا الدُّجَى وَتَسْرُّبُوا مِنْ نُورٍ^(٣) هَلَّتِ الصَّبَاحُ النَّافِرِ
 وَرَمَوْنَا إِلَى شُعْثِ الرَّجَالِ^(٤) بِأَعْيُنِ يَكْسِرُنَّ مِنْ نَظَرِ النَّعَاسِ الْفَاتِرِ
 أَهْوَى فَأَسْعَفَ بِالْتَّحِيَّةِ خِلْسَةً
 سِرَنَا وَأَنْتِ مُقِيمَةً وَلَرْبُمَا كَانَ الْمَقِيمُ عَلَاقَةً لِلِّسَانِ

قال الأمدى^(٥) :

« وهذا والله الكلام العربي » ، والمذهب الذي بُعد على غيره أن يأتي بمثله ». ونقول : إن الوصف يقصر عن بلاغة هذه الأبيات وبراعتها وسلامتها ، وإنما يعجب من طرق الخيال مع الأرق الذي يشرد الخيال ، فلا يكون معه في موضع العجب . ولا بد من أن يكون قد أغنى بعض الإغفاء مع طول الأرق ، ومعاجلة السهر ، فطرقه طيف الخيال في ذلك

(١) من قصيدة يمدح بها محمد بن عبد الله بن طاهر (ديوانه ٤٢) .

(٢) ديوانه : مرت . (٣) ديوانه : فضل . (٤) ديوانه : شعب الرحال .

التهويم الخفيف الضعيف . فـما قوله « يشق على التم الخاطر » . فـلم يرد خاطر القلب ، لأن ذلك لا معنى له في هذا الموضع ، وإنما أراد الماشي ، لأنهم يقولون خـطـر البعير يخـطـر خـطـرا : إذا مشى فضرب بذنبه يميناً وشمالاً . والقـود الطـوال . ووصف الإبل بأـهـلـاـ مع الطـول كالقـسـىـ من النـحـول والضـمـر . فأـمـاـ قوله « هـلـهـلةـ الصـبـاحـ » ، فالـعـربـ تـقـولـ ثـوـبـ مـهـلـهـلـ وـهـلـهـلـ وـهـلـهـلـةـ ، وـهـوـ الرـقـيقـ النـسـجـ . وـمـنـهـ قـيلـ لـنـسـجـ العـنـكـبـوتـ الـهـلـهـلـ . وـإـنـماـ وـصـفـ الـبـحـتـرـىـ أـوـأـلـ ضـوـءـ الصـبـاحـ النـاـئـرـ ، فـإـنـماـ أـرـادـ الـمـنـيـرـ ، وـفـيـ ذـلـكـ لـغـتـانـ نـارـ وـأـنـارـ . قـالـ الـفـرـاءـ : أـنـارـ الـطـرـيقـ وـنـارـ . وـذـكـرـ مـثـلـ ذـلـكـ يـعـقوـبـ . وـقـالـ قـطـرـبـ : نـارـتـ النـارـ وـأـنـارتـ ، وـنـارـ الـبـرـقـ وـأـنـارـ . فـأـمـاـ الـعـلـاقـةـ بـفـتـحـ الـعـيـنـ فـهـىـ عـلـاقـةـ الـحـبـ . وـبـكـسـرـ الـعـيـنـ هـىـ : عـلـاقـةـ السـوـطـ وـغـيـرـهـ .

قال البحتري « أيضاً^(١) :

إذا ما الـكـرـىـ أـهـدـىـ إـلـىـ خـيـالـهـ سـقـىـ قـرـبـهـ التـبـرـيـحـ أـوـنـقـعـ الصـدـاـ
إذا انـزـعـتـهـ منـ يـدـهـ اـنـتـبـاهـهـ عـدـدـتـ حـبـيـبـاـ رـاحـ مـنـيـ أـوـغـداـ
ولـمـ أـرـ مـيـلـيـنـاـ وـلـاـ مـيـلـ شـائـنـاـ نـعـذـبـ أـيـقـاظـاـ وـنـنـعـمـ هـجـداـ
أـمـاـ الصـدـاـ هـنـاـ : فـهـوـ العـطـشـ ؟ـ وـمـعـنـ نـقـعـ الصـدـاـ : أـمـيـ روـاهـ .
والـبـيـتـ الثـالـثـ فـهـذـ الـأـبـيـاتـ فـغـاـيـةـ الـحـسـنـ وـالـقـوـةـ وـالـسـلـامـةـ .

(١) من قصيدة يمدح بها المعز بالله ، ويستشفه إلى ابنه عبد الله (ديوانه

وقال البحترى أىضا :

أقامت على المهرجان ما إن تجوزه وخالفها بالوصل طيف لها يُسرى
 فكم في المدحى من فرحة بلقاها
 وكم ترحة بالبين منها لذى الفجر
 إذا الليل أعطانا من الوصل بُنعة
 تذاشنى سير الصباح إلى المهرج
 ولم أنس إسعاف الكرى بدنوها وما تدرى

ويتمنى تطاول الليل وتماديه ، ليتطاول ويتمادى زمان المتعة بالطيف
 والاذة ، بتخيله وتنشه . وهذا باب واسع وطريق ممْيَّع .

ومن رقيق ما قيل فيه قول ابن المعز .

أيا^(١) بديعا بلا شبيه ويا حقيقة بكل تيه
 ومن جفاني فلا أراه هب لي رقادا أراك فيه

وهذا نظير قول الشاعر :

يا نازحا نزحت عيني قطيعة^{هـ} هب لي من الدمع ما يكى عليك به
 فإن قيل إنما استو海棠 ابن المعز من الرقاد ما هو في يد محبوبه ، لأنه
 يملك هجره وبعاده فيسهر ، وليس يملك المحبوب مادة الدمع فيسأل فيها .
 والجواب عن ذلك : أن الأمرين واحد ، لأن المشوق يقدر على كل ما يكى
 به عاشقه ، ويدرى دموعه ، ويجلب ماءها ويستنفذه ، ويقدر على الكف

(١) ديوانه طبع مصر سنة ١٨٩١ م (١٠١ : ١) : يا بديعا .

عن ذلك، فيبقى دموعه بكمالها، ولا يُضفر^(١) ما فيه منها. فما سأله الشاعران
إلا ما هو مسكن غير معوز.

وقال البحترى^(٢):

بَيْتُ أَبْدِي وَجَدًا وَأَكْمَمْ وَجَدًا لِخَيَالٍ قَدْ بَاتَ لِي مِنْكِ يُهْدَى
فَقَسَمَ الظَّنُّ فِيهِ أَنِّي تَخَطَّى الرَّمْلَ مِنْ عَالِجٍ وَأَنِّي تَهْدَى
خَطَا مَا أَزَارَنَا طُرُوقًا أَمْ تَوَحَّى لِلزِّيَارَةِ تَعْمَدًا
جَاءَ يَسِيرِي فَأَشْرَقَتْ أَرْضُ نَجِدَ لَسْرَاهُ وَوَاصَلَ الغَيْثُ تَجْدَدًا
لَا يَخِيبُ الْبَلَادُ تَخَطِّرُ فِيهَا رُسْلُ الشَّوْقِ مِنْ خَيَالَاتِ سُعْدَى
وَعَدْتُنَا فَنَا وَفَتْ بِوْصَالٍ وَوَفَتْ حِينَ أُوْعَدَتْ أَنَّ تَصْدَدًا
قَرَبَ الطَّيفُ مُتَهَا فَأَصْبَحَتْ حَدِيثًا بِنَاقِضِ الْعَهْدِ عَهْدًا

وقال أيضاً:

مِنْكِ طَيْفٌ أَمَّا وَالْأَفْقُ مَلَأَ نُّمِنَ الْفَجْرِ وَاعْتَرَاضٍ عَمُودِهِ^(٣)
زَائِرٌ ، أَشْرَقَتْ لِرُؤْيَتِهِ أَغْ—وَارُ أَرْضٍ الْعِرَاقِ بَعْدَ نَجُودِهِ
أَرَبُّ النَّفْسِ كُلُّهُ وَمَتَاعٌ ॥ عَيْنٍ فِي خَدَّهِ وَفِي تَوْرِيدِهِ
مُعْطِيًّا مِنْ وَصَالِهِ فِي كَرَى النَّوْ مِنْ الَّذِي كَانَ مَارِنًا فِي صُدُودِهِ
يَقْطَاتُ الْمُحِبَّ سَاعَاتٍ بُوسَا هُونَمًا^(٤) عَيْشِهِ فِي هُجُودِهِ

(١) يُضفر: يخل. (٢) من قصيدة يمدح بها ابن الفرات (٢٠٦: ١ ط هندية).

(٣) من قصيدة يمدح بها الحضر بن أحمد الشعلى ، ديوانه (١ : ١٦٨ هندية) .

(٤) الديوان : نعاه .

أما وصف خيال المحبوب بأنه يبذل في النوم ما كان يضمن به في اليقظة ، ويصل في هذه الحال بعد صدوده في غيرها ، وأن النعيم والمنفعة في المحبود مع طيف الخيال ، كأن الشقاء والمضررة في اليقظة مع هجر الحبيب وصدوده ، فهو جادة مسلوكة ، وجهة مأئونة للشعراء ، وسيجيئ في شعرى من ذلك ما سيوقف عليه بمشيئة الله . والحكم في تجويد وقصیر، وإحسان وإساءة ، إلى من عرف ثم أنصف .

وقال البحترى أيضا :

وَمَا انْفَكَ دَاعِيَ الْبَيْنِ حَتَّى تَرَاهَا تَرَاهَا حَاضِرٌ وَخَيَامُ^(١)
عَشِيهَ مَا لَيْ عن شَبَثَ تَرَحَّلٌ فَأَمْضَى وَلَالِي فِي شَبَثَ مَقَامُ
فَمَا^(٢) نَلَقَنِي إِلَّا عَلَى حُلْمٍ هَاجِدٍ يَحْلِلُ لَنَا جَدْوَاكِ وَهُوَ حَرَامٌ
إِذَا مَا تَبَادَلْنَا^(٣) النَّفَائِسَ خَلَّتْنَا مِنَ الْجَدِّ أَيْقَاظًا وَنَحْنُ نِيَامٌ

قال الأَمْدِي : « وهذا قول ليس بينه وبين القلب حجاب » ، وقد صدق في مقالته ، وأَنْصَفَ في شهادته . ومعنى قوله : « يَحْلِلُ لَنَا جَدْوَاكِ وَهُوَ حَرَامٌ » : إِنَّا نَظَرْنَا فِي الْحَلْمِ بِمَا كَنَا نُرُدُّ عَنْهُ فِي الْيَقَظَةِ ، وَنَشَّالُ مَا كَنَا نُذَادُ عَنْهُ . فَعَبَرْنَا بِالْبَذْلِ بِالتَّحْلِيلِ ، وَعَنِ الْمَنْعِ بِالتَّحْرِيمِ ، وَهَذَا مَلِيحٌ ، وَمِنْ بارع البلاغة والفصاحة ، لأنَّ الْحَظْرَ وَالْتَّحْرِيمَ مَنْعُ مِنَ الشَّيْءِ ، وَإِنْ فُعِلَ . وَالتَّحْلِيلُ بِذَلِّهِ وَإِنْ هُجِرَ . قَالَ - أَدَمُ اللَّهُ عَلَوْهُ - وَالَّذِي أَرَوْيَهُ : « يَحْلِلُ لَنَا جَدْوَاكِ وَهِيَ حَرَامٌ » ، لأنَّ الْجَدُودَ مَؤْتَمَةٌ . وَقَدْ رَوَاهُ الْأَمْدِيُّ عَلَى

(١) من قصيدة يعتذر فيها إلى يعقوب بن أحمد بن صالح ديوانه (٢ : ٤٩ ط

هندية) . (٢) ديوانه : وما . (٣) ديوانه : تبادلنا .

الذكير . وقد يجوز ذلك على المعنى ؟ لأنَّ معنى الجدوى هو العطاء والفضل والإحسان .

وقال البحترى^(١) :

أرجُمُ في كليل الطنون وأرجحى
وايله هو منا على العيسِ أرست
بطيقِ خيالٍ يُشَبِّهُ الحقَّ باطلة
فولا بياضُ الصُّبْحِ كانَ تَشَبَّهَ
وكمِّنْ يَدِ اللَّيْلِ عندِ حميدَةَ
يعطَّقَ غزالٍ بِتَّ وَهُنَا أَغَازِلَهُ

قوله « يُشَبِّهُ الحقَّ باطلة » من مليح الكلام ومقبوله . وقال الأمدي عقيب هذه الأبيات : وهذا كله إنما حسن هذا الحسن ، وقبلته النفوس ، لأنَّه اعتمد أن يخبر بالأمر على ما هو به ، من غير زيادة ولا نقصان . لافصاحة لكلامه ، ولا بلاغة ولا براءة . وكم من مخبر عن الشيء على خلاف ما هو به ، لا يلائمه القبول ، وإلى القلوب الوصول . وهذا يدل على أن حظ الألفاظ في الكلام الفصيح منظوماً ومنظوراً أقوى من حظ المعاني . وقد نبهت على ذلك في موضع من كلامي ، من أراد الاستقداء وقف عليها .

(١) هذه الأبيات ليست في ديوانه طبع هدية .

وقال البحترى أيضاً^(١) :

ما تَقْضِي لِبَاهَةً عِنْدَ لَبَنِي وَالْمَعْنَى بِالْغَانِيَاتِ مُعْنَى
هَجَرَتْنَا يَقْظَى وَكَادَتْ فَلَى مَذْ^(٢) هَبِهَا فِي الصُّدُودِ تَهْجُرُ وَسَنَى
بَعْدَ لَأْيِ وَقَدْ تَعَرَّضَ مِنْهَا طَائِفٌ^(٣) عَرَجَتْ عَلَى الرَّكْبِ وَهُنَّا
وَرَأَيْتُ أَبَا الْقَاسِمِ الْأَمْدَى^٤ — مَعَ حَسْنٍ رَأَيْهِ فِي الْبَحْتَرِيَّ، وَمِيلَهُ إِلَيْهِ —
يَزْعُمُ أَنَّهُ أَخْطَأَ فِي قَوْلِهِ :

هَجَرَتْنَا يَقْظَى وَكَادَتْ عَلَى مَذْ هَبِهَا فِي الصُّدُودِ تَهْجُرُ وَسَنَى
قَالَ : لَأْنَ خَيَالَهَا يَتَمَثَّلُ لَهُ فِي كُلِّ أَحْوَالِهَا، يَقْضِي كَانَتْ أَوْ وَسَنَى . قَالَ :
لَكِنَّ الْجَيْدَ فِي هَذَا الْمَعْنَى قَوْلُهُ :

أَرَدَ^(٤) دُونَكِ يَقْظَانًا وَيَأْذَنُ لِي
عَلَيْكِ سُكْرُ الْكَرَى إِنْ جِئْتُ وَسْنَانًا

قَالَ : [وَالَّذِي أَوْقَعَ الْبَحْتَرِيَّ فِي هَذَا الْغُلْطَ ، قَوْلُ قَيْسَ بْنِ الْخَطَّيمِ :
مَا تَمَنَّى يَقْضِي فَقَدْ تُؤْتَيْنَاهُ] فِي النَّوْمِ غَيْرَ مُصَرَّدٍ مُحْسُوبٍ
قَالَ : وَكَانَ الْأَجْوَدُ أَنْ يَقُولَ مَا تَمَنَّى فِي الْيَقْظَةِ فَقَدْ تُؤْتَيْنَاهُ فِي النَّوْمِ .

(١) هذه الأبيات مطلع قصيدة مدح بها ابن الفياض (انظر ديوانه ٢ : ٢٩٠ طبع هندية) . (٢) ديوانه : عادتها .

(٣) ديوانه : طائف طاف بي على الركب وهذا .

(٤) هذا للبيت ليس في ديوانه طبع هندية .

أى ما تمنعنيه في يقظتى فقد تؤتنى فى حال نومى ، حتى تكون اليقظة والنوم منسوبين إليه . ثم قال : إلا أنه يتسع من التأويل فى هذا القيس ، مالا يتسع للبحثى ؟ لأن قيسا قال فقد تؤتنى نائمة . وقد يجوز أن يحمل على أنه أراد ما تمنعنيه يقظى وأنا يقطان ، فقد تؤتنى في النوم ، أى في نومى . ولا يسوع مثل هذا في بيت البحتى ، لأنه قال وسنى ولم يقل في الوسن] . ونقول إنه قد يمكن من التأويل للبحثى في بيته ، مالم يمكن مثله لقيس ، لأن البحتى لما قال وسنى ، أى بلفظة تدل على حال الوسن . وال الحال المعهود للوشن حال يشترك الناس فيها في النوم بالمعاد ، كما أن الحال المعهود لليقظة حال مشتركة في العادة ، فقوله وسنى تنبئ عن كونه هو أيضاً نائماً ، وإنما أراد المقابلة بين يقظى ووسنى . وقول البحتى يقظى : الأولى أن يُحمل على أن المراد به أنها هجرت في أحوال اليقظة . ومعنى يقظى يتعدى إليه . ألا ترى أن الأمدى حمل قول قيس « يقظى » على معنى وأنا يقطان وإن تبين الوجه فيه ؟ فكيف لم يفطن مثل ذلك في قول البحتى ؟ و قوله « وسنى ويقظى » مثل قول قيس « يقظى ». ولو ممكن قيسا وزن الشعر من أن يقول « وسنى » في مقابلة « يقظى » ، لعله ماعدل عنه إلى أن يقول في النوم ، لأنه لم يكن عليه في وسنى إلا ماعليه في يقظى ، وما يتأول له في أحد الأمرين يتأول بهته في الآخر .

فأما أبيات قيس هذه في الطيف ، فقد سبق فيها إلى كل معنى غريب

عجب ، وهو قدوة في هذا المعنى لكل من تبعه تبع أثره . والأبيات :

أَنِي سَرَّبْتُ وَكُنْتُ غَيْرَ سَرَّوبٍ وَتَقْرَبُ الْأَحْلَامُ غَيْرُ قَرِيبٍ
مَا تَمْتَعِي بِيَقْظَى فَقَدْ تُؤْتَدِنَهُ فِي النَّوْمِ غَيْرَ مُصَرَّدٍ مُحْسُوبٍ
كَانَ إِنِي يَلْقَائِهَا فَلَقِيَتْهَا فَلَمْ يَوْمٌ مَّنْ لَهُ امْرِئٌ مَّكْذُوبٍ

أما قوله : « وَكُنْتُ غَيْرَ سَرَّوبٍ » ولم يقل : وَكُنْتُ غَيْرَ سَارِبٍ ؟ فله معنى عجيب : لأن السارب هو السائر نهاراً ، كما أن الساري هو السائر ليلاً . ومن لم يسر نهاراً مع وضوح الممالك ، والاهتداء إلى المقاصد ، والأنس بضياء النهار ، كيف يسرى في الظلام وهو على الضدّ من هذه المعانى ؟ فالعجب منه واقع في موقعه . وقوله « وَتَقْرَبُ الْأَحْلَامُ غَيْرُ قَرِيبٍ » من مليح الإشارة إلى غرور الطيف ، وكذب تخيله . فأما المصَرَّد : فهو القليل . والتصرِيد : التقليل . وتحتمل لفظة محسوب شيئاً : أحدـها القليل أيضاً ، لأن الشيء القليل يوصف بأنه محسوب وهذا التأويل أحدـالوجهـ في قوله تعالى : « يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ » ، فـكـأنـ الشـاعـرـ أـكـدـ قوله : « غـيـرـ مـصـرـدـ » بـأنـهـ أـيـضاـ غـيـرـ مـحسـوبـ ؟ كل ذلك لنفيـ التـقـليلـ . والوجهـ الآخرـ أنـ يكونـ معنىـ مـحسـوبـ : أـىـ متـوقـعـ منـتظـرـ ، كـيـقالـ : لمـ يـكـنـ كـذاـ وـكـذاـ فـحـابـيـ : أـىـ مـاتـوقـعـهـ وـلـاـ اـنتـظرـهـ . فـكـأنـهـ قالـ : تـؤـتـدـنـهـ فـيـ النـوـمـ غـيـرـ مـقـلـلـ ، وـلـاـ مـتـوقـعـ منـتظـرـ ، لأنـ زـيـارـةـ الطـيفـ فـيـ النـوـمـ لـيـسـ مـاـ يـنـتـظـرـ وـيـتـوقـعـ . وـقـولـهـ فـلـقـيـتـهـاـ : معـناـهـ : فـلـقـيـتـ خـيـالـهـ ،

لأنه لو كان لقيها لما كان مكذوبا . و قوله : « فلموت هو امرئ مكذوب » من فصيح العبارة ، وأحسنها معنى .

* * *

وقال البحترى أيضا^(١) :

أَمَامِينْ عَلَى الشَّوْقِ الَّذِي غَرَبَتْ بِهِ الْجَوَانِحُ وَالْبَيْنُ الَّذِي أَفَدَا^(٢)
 كِيفَ الْلَّقَاءِ وَقَدْ أَضْحَتْ تَحْيَيَةً بِالشَّامِ لَا كَثِيرًا مِنْهَا وَلَا صَدَادًا^(٣)
 تَهَاجِرْ أَمْمٌ لَا وَصْلَ يَخْلُطُهُ إِلَّا تَزَارُرْ طَيْفَيْنَا إِذَا هَجَدَاهَا
 وَقَدْ يُزِيرُ الْكَرَى مِنْ لَازِيَارَتِهِ
 قَصْدٌ وَيُدْنِي الْهَوَى مِنْ بَعْدِ مَنْ بَعْدَاهَا
 بَنَنَا هَلَى رِقْبَةِ الْوَاشِينَ مُكْتَنِفِيَ
 صَبَابَةً نَتَعَاطَى^(٤) الْبَتَّ وَالْكَمَدَا
 أَمَا سَأَلْتَ بِشَخْصِنَا هَنَاكَ قَدْ شَهِدَاهَا
 غَابَا ، وَأَمَّا خِيَالَانَا فَقَدْ شَهِدَاهَا
 وَلَمْ يَعْدِنْ لَهَا طَيْفٌ فِيهِ جَوْنِيَ
 إِلَّا عَلَى أَبْرَحِ الْوَجْدِ الَّذِي عَهِدَاهَا

(١) هذه الأبيات من قصيدة يمدح بها الفتح بن خاقان انظر ديوانه ١ : ١٢٤

(٢) أفادا : أصاب الفوزاد .

(٣) الصدد : ناحية الشيء . (٤) ديوانه : ننشاكي .

قال الأمدي : « لو كان قال : إلا تزاور طيفينا إذا هجدنا ، كان
عندى أجود . فكان المعنى : إن إذا هجدت رأيتها في النوم . فكانَ
نفسى ونفسها اجتمعا ، وكذلك إذا هجدت هي ترى مثل ما رأيت ،
ويكون « طيفينا » محولا على معنى نفسينا ، لأن النفس هي التي ترى
ما ترى في النوم ، وهي التي تمثل أيضا ماتتمثله في اليقظة . وقد يسوع
مع هذا أيضا قوله : « إذا هجدوا » : يريد النفسين ، لأن نفس الإنسان
هي التي تنام ، كما قال الله تعالى : « والتي لم تمت في منامها » . ونقول إنه
لا شبهة في أنه لو قال البحترى : « إلا تزاور طيفينا إذا هجدا » لكان
صحيحا مستقيما ؛ لكن وزن الشعر لم يمكنه من ذلك ، فعدل إلى لفظ
آخر ، وما أراد إلا هذا المعنى بعينه ، لأن الطيفين اللذين هما ما يتمثل
في النوم لا يوصفان بالهجود . وإنما عبر بالطيف عن صاحب
الطيف ؛ وعمن يتمثل له أو منه الطيف ، وما ذلك ببعيد من الاستعارة
في مثوار الكلام ، فضلا عن منظومه الذي يضيق عن الأغراض ،
ويحتمل فيه مالا يحتمل في غيره . فاما قول الأمدي : إن النفوس هي التي
تحتمع وتلتقي ، ويتمثل لها ماتتمثله في يقظة أونوم ، وأن نفس الإنسان
هي التي تنام ، واستشهاده بالآية ، فما كان ينبغي له أن يخوض فيه ، ويدخل
نفسه في مثله ، فإنه ليس من عمله ؛ ولا ماله به علم ومعرفة . وترك الإنسان
الدخول فيما لا يعرفه أستر عليه . والنفس عبارة في اللغة العربية عن أشياء

كثيرة ، منها الدم ؟ ولذلك قالوا : « مَا لَنَفْسٍ لَهُ سَائِلةٌ ، فَإِنَّهُ لَا يَنْجِسُ
الْمَاءَ إِذَا ماتَ فِيهِ ^(١) » ، وسميت النساء بهذا الاسم ، لأجل الدم . ويعبّر
بالنفس عن الذات ، يقال فعلت ذلك بنفسك ، وجاء زيد نفسه ، ونفسى
تتوق إلى كذا وكذا : أى أنا تائق إليه .

والذى تهذى به الفلاسفة من أن النفس جوهر بسيط ، وينسبون
الأفعال إليها ، مما لا يحصل له ، وقد يتناقض في مواضع كثيرة من
كتابنا ، ودللنا على أن الفاعل المميز الحى الناطق ، هو الإنسان الذى هو هذا
الشخص المشاهد ، دون جزء فيه أو جوهر بسيط يتعلّق به ، وليس هذا
موقع بيان ذلك والكلام فيه . فقول الأمدي ^٢ : إن النفس هي التي ترى
في اليقظة والنوم ، وهي التي تنام في الحقيقة ، خطأ منه فاحش ، لأنّه قد
أضاف أفعال الحى الذي هو الإنسان المشاهد إلى غيره . والذى ينام على
الحقيقة ويستيقظ ، هو الحى الذي هو الإنسان المشاهد . فاما قوله تعالى :
« يَتَوَقَّى الْأَنْفُسُ حِينَ مَوْرِثَاهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا » ، فعنده الصحيح :
أن الله تعالى هو الذي يقبض ويجمع حركات الأحياء ، ويصرفهم في وقت
موتهم . وعبر بالآنفوس عن ذوات الأحياء ، لأن تصرف الحى مع النوم
وحركته تقبض وتقل ، كما تقبض حركته مع الموت . وإن كان النائم
حيا ، والميت فاقدا لحياته . ثم قال تعالى : « فِيمِسْكُ الَّتِي قَضَى عَلَيْهَا الْمَوْتَ » ،

(١) هذا حديث روى عن النبي عليه الصلاة والسلام :

أى يستمر منها عن جميع التصرف والأفعال ، ويرسل الأخرى إلى
أجل مسمى : أى يعيد النائم في أحوال اليقظة إلى ما كان عليه من
التصرف .

* * *

وقال البحترى أيضاً^(١) :

طَيْفٌ تَوَبَّ مِنْ سُعدَى فَحَيَّانِي
أَهْوَاءُ وَهُوَ بُعِيدَ النَّوْمِ يَهْوَانِي
فِيهَا زَوْرَةٌ يَشْفَى الْغَلِيلُ بِهَا
لَوْ أَنَّهَا جَاءَتْ يَقْظَانِ لِيَقْظَانِ
مَهْزُوزَةٌ إِنْ مَسَتْ لَمْ تُثْفَ هَزَّهَا
فِي الْخَيْرَانِ وَلَمْ تَوْجَدْ مَعَ الْبَانِ
يُذْنِي السَّكْرِي شَخْصَهَا مِنِّي وَيُبَعِّدُنِي
هَبَّاجُرْ فَيَبْعُدُ مِنِّي شَخْصَهَا الدَّانِي

أما قوله : «أهواه وهو بعيد النوم يهوانى» فإنه يريد أننى أهواه
على الحقيقة ، وهو بعيد النوم يتخيّل لي شخصه وطيفه وزيارته لي ، فكان أنه
يهوانى . والبيت الثالث في غاية الملاحة والرشاقة . وفي البيت الرابع رواية
مخالف لما حكينا ، وهي :

يُذْنِي السَّكْرِي شَخْصَهَا مِنِّي وَيُنْهِنِي
وَجَدْ فَيَبْعُدُ مِنِّي شَخْصَهَا الدَّانِ

(١) من قصيدة يمدح بها إسماعيل بن بلبل (ديوانه ٢٩٨: ٢ طبع هندية) .

ومعنى الرواية الأولى أن هجرها لي مبعد في الحقيقة عن لقائهما، ونأى بشخصها عنى، وإن خَيْلُ الْكَرِي لِي الدُّنْوِ إِلَيْهَا.

والرواية الثانية معناها : أني أتخيل في النوم دنو شخصها مني ، فإذا انتهت بالوجود، وجدت شخصها بعيدا ، فـ كأن الاستيقاظ هو الذي أبعد شخصها ، كما أن الـ كري أدنى ، وجـ واد العتابي في قوله :

وَلَا اسْتَقِرَ النَّوْمُ فِي جَهَنَّمِ عَيْنِي
رَمَتْ غُرَاثُ الْمَوْتِ رَمْيَاً بِنَفْسِهَا
فَاهْدِي إِلَيْنَا اللَّيلُ شَخْصًا تَنَاسَبَتْ
فَبَاتَتْ نَعَمَاتُ النَّعِيمِ تَجُودُنَا لَهَا دِيمَ حَتَّى الصَّبَاحِ وَوَابِلُ

وأحسن كل الإحسان مسلم بن الوليد في قوله :

وَلِيلَةَ بَاتَ اللَّهُو إِلَّا بَقِيَةُ تَدَارَ كَهَا طَيفُ الْأَمَّ مُسَلَّمًا
جَعَنَا مَعَاذِيرَ الْعَقَابِ بِرَقْدَةٍ مَشَتْ بِيَمِنَنَا تَطْوِي الْحَدِيثَ الْمُكَتَبَا
وأحسن التبر بن تواب في قوله :

تَوَّبَ صَحْبِي وَهُمْ هُجُودٌ خَيَالُ طَارِقٍ مِنْ أُمٌّ حِصْنٍ
أَلَمْ تَرَهَا إِلَيْكَ الْيَوْمَ جَاءَتْ بَلْ ظَاهِنٌ مِنْ كَرْمٍ وَحُسْنٍ

والناس يستحسنون قد يـ لماـلك بن أـسمـاءـ ، وقد روـيـتـ لـغـيرـهـ ، قوله :

عَذَّتْ لِعَيْنِي لِعَيْنِي عِنْدَ مَسْرَاهَا فَبَيْتُ أَرْشَفُ يُنْتَاهَا وَيُسْرَاهَا

وَقُلْتُ أَهْلًا وَمَهْلًا إِذْ هُدِيتَ لَنَا إِنْ كُنْتَ إِبْيَاهَا

وَمَا اسْتَحْسَنْتَ لِدِعْبَلَ بْنَ عَلَىٰ الْخَزَاعِيِّ، وَاسْتُطِفْتَ مَعْنَاهُ، قَوْنَهُ :

صَرَىٰ طَيْفُ سَعْدَىٰ حِينَ حَانَ هُبُوبُ

وَقَضَيْتُ شَوْفِيَّ حِينَ كَادَ يَتُوبُ

وَلَمْ أَرَ مَطْرُوقًا يَحْلَأُ بِطَارِقٍ وَلَا طَارِقًا يَقْرِي الْمَنَى وَيُثِيبُ

وَقَالَ الْبَحْتَرِيُّ أَيْضًا^(١) :

أَمَّا الْخَيْالُ فَإِنَّهُ لَمْ يَطْرُقْ إِلَّا يَعْقِبُ تَشَوُّفِي وَتَشَوُّقِ

قَدْ زَارَ مِنْ بَعْدِ فَهْنَهَ مِنْ جَوَى ضَرِمٍ وَسَكْنَ منْ فَوَادٍ مُقْلَقٍ^(٢)

وَلَرْبِمَا كَانَ الْكَرَى سَبَبًا لَنَا بَعْدَ الْفِرَاقِ إِلَى الْأَقَاءِ فَنَلْتَقُ

أَمَا الْبَيْتُ الْثَالِثُ، فَلَهُ مَا شَاءَ مِنْ قَبْولٍ، وَحَلاوةٍ وَطَلاوةٍ .

وَقَالَ الْبَحْتَرِيُّ أَيْضًا^(٣) :

مِثَالُكِ مِنْ طَيْفِ الْخَيْالِ الْمَعاوِدِ أَلَمْ يَنَا مِنْ أَفْقِهِ الْمُتَبَاعِدِ

يُحْيِي هُجُودًا مُنْذَشِينَ مِنَ الْكَرَى وَمَا نَفَعَ إِهْدَاءُ السَّلَامِ لَهَا جِدٌ

(١) من قصيدة يمدح بها المعزز بالله (ديوانه ٢ : ١٤٢ طبع هندية).

(٢) ديوانه : قد زار من بعد فسكن من حشا.

(٣) من قصيدة يمدح بها الفتح بن خاقان وابنه (ديوانه ١ : ١٣٥ طبع هندية).

إذا هي مالت للعناق تعطفت تعطف أملود من البان مائده
إذا وصلتنا لم تصل عن تعمد وإن هجرت أبدت أنا هجر عالمد
وقال أيضا^(١):

خَطَرَتْ فِي النَّوْمِ مِنْهَا خَطْرَةٌ
أَيُّ زَوْرٍ لَكَ لَوْ قَضَدَ سَرَى
يَقْرَاءِي وَالْكَرَى فِي مُقْلَاتِي
فَإِذَا فَارَقَهَا النَّوْمُ بَطَلَ
قَرْ أَتَبْعَثُهُ مِنْ كَافِ نَظَرَ الصَّبِّ يَهْ حَتَّى أَفَلَ

ولهذه الأبيات الملاحة كلها ، والحلواة جميعها ، وللبديتين الأولين منها
الفضل الظاهر عليها ، ومارأينا الآمدى طرب لما أوردها ، وماشرع في شيء
من مدحها ، وقد يفعل ذلك فيها هو دونها أو مثيلها ، وهي جديرة بالطرب ،
حقيقة بالعجب .

وقال أيضا :

(٢) طرق تناهى الخيلات^(٤) نعم^(٥) أم بكرٍ فأشفقتْ أم بكرٍ
في بدويٍّ من الشبابٍ عليها ورق^(٦) من جديده المس Becker^(٧)

(١) من قصيدة يمدح بها الطاف (ديوانه ٢ : ١٨١ هندية).

(٢) ديوانه : منك . (٣) من قصيدة يمدح بها محمد بن بدر (ديوانه ١ :

١٩ هندية) . (٤) ديوانه : وفي . (٥) ديوانه : نعمى .

(٦) ورق الشباب : نصرته وحداته . (٧) المس Becker : الشاب النام المعتمد .

كُلَّتْ أَرْبَعَ لَهَا بَعْدَ عَشْرٍ وَمَدَى الْبَدْرِ أَرْبَعَ بَعْدَ عَشْرٍ
 خَلَفَتْ^(١) دَارَهَا بِحَزْوَى فَبَاتَ بَيْنَ سَخْرَى شَرَوْى الصَّجِيعِ وَتَحْرِى
 لَوْدَرَتْ مَا أَتَتْ لَنَتْ يَنْجُحْ لَمْ يُكَدَّرْ وَنَائِلْ غَيْرِ نَزْرٍ
 وَمَعْنَى الْبَيْتِ الْأَوَّلِ ، أَنَّهَا طَرَقْتَنَا فِي غَيْرِ الْخَيَالِ وَفِي الْخَيَالِ ، وَلَوْلَا
 ذَلِكَ لَمْ يَكُنْ لِلْوَأْوِ الْعَاطِفَةِ مَعْنَى ، وَالْمُسْبَكِرُ^٢ : النَّامُ الْكَامِلُ

وَقَالَ أَيْضًا^(٣) :

قُلْ لِلْخَيَالِ إِذَا أَرَدْتَ فَعَاوِدْ
 تَدْنِي الْمَسَافَةَ مِنْ هُوَى مُتَبَاعِدْ
 فَلَأَنْتَ فِي نَفْسِي وَإِنْ عَنِيدَتَنِي
 وَبَعْثَتَ لِي الْأَشْجَانَ أَخْلَى وَأَفِدْ
 بَاتَتْ بِأَحْلَامِ النَّيَامِ تَغْرِيَنِي
 رُودُ التَّنْتَنِ كَالْقَضِيبِ الْمَانِدِ
 ضَاهَتْ بِحُلْتَهَا تَلَهُبَ حَدَّهَا حَتَّى غَدَتْ فِي أَرْجُوَانِ جَامِدِ^(٤)

وَضَعَ الْبَحْتَرِيُّ قَوْلَهُ : «رُودُ التَّنْتَنِ» فِي غَيْرِ مَوْضِعِهِ ، لَأَنَّ الرُّوْدَةَ
 مِنَ النَّسَاءِ السَّرِيعَةِ الشَّبَابِ ، وَهَذَا وَصْفٌ لَا يَلِيقُ بِالْمَنْتَنِ ، وَإِنَّمَا يَلِيقُ
 بِالْمَرْأَةِ ذَاتِ التَّنْتَنِ . وَعَذْرَ الْبَحْتَرِيِّ فِي ذَلِكَ مِنْ وَجْهِينِ :

(١) دِيْوَانُهُ : خَالَفَتْ .

(٢) مِنْ قَصِيدَةٍ يَمْدُحُ بَهَا صَادِعَ بْنَ مُخْلِدٍ (دِيْوَانُهُ ١ : ١٥٨ طَبْعَ هَنْدِيَّةَ) .

(٣) دِيْوَانُهُ : جَاسِدٌ . تَقُولُ جَدُّهُ الدَّمْ يَجْسِدُ : إِذَا أَلْصَقَ بَهُ فَهُوَ جَاسِدٌ ، وَالْجَسَدُ الأَحْمَرُ .

أحدما : أنه استعار للثني وصف صاحبه للمقاربة .
والآخر : أن سرعة الشباب لا تكون إلا مع النعمة والرطوبة ، فحمل
على المعنى ، وأراد أنها ناعمة الثني ، أو رطبة التعطف .

وقال أيضاً^(١) :

يَعِينِيْكِ إِعْوَالِيْ وَطُولُ شَهِيقِيْ وَإِخْفَاقُ عَيْنِيْ مِنْ كَرَّى وَخُفُوقِ
عَلَى أَنْ تَهُوِيْمَا إِذَا عَارَضَ اطْبَى^(٢) سُرَى طَائِفِ^(٣) فِي غَيْرِ وَقْتٍ طُرُوقِ
سَرَى جَائِيْمَا لِلْخَرَقِ يَخْشَى وَلَمْ يَكُنْ
فَبَاتَ يُعَاطِيْنِي عَلَى رِقْبَةِ الْعِدَّا وَيَمْزُجُ رِيقًا مِنْ جَنَاهُ بِرِيقِيْ
وَبِتَ أَهَابُ الْمِسْكَ مِنْهُ وَأَتَقِيْ رُدَاعَ^(٤) عَبِيرِ صَائِكِ^(٥) وَخَلُوقِ
أَرَى كَذِبَ الْأَحْلَامِ صِدْقًا وَكَمْ صَفَتْ

إِلَى خَبِرِ أَذْنَائِيْ غَيْرِ صَدُوقِ
وَمَا كَانَ مِنْ حَقِّ وَبَطْلِ فَقْدَ شَفَّيْ حَرَارَةَ مَقْبُولِيْ وَخَبْلَ مَشْوَقِ

وقال أيضاً^(٦) :

أَحْبِبْ إِلَى يَطِيفِ سُعْدَى الْآتَى وَطَرُوقَهُ فِي أَعْجَبِ الْأَوْقَاتِ

(١) من قصيدة يمدح بها أحد بن طولون (ديوانه ٢ : ١٤٠) .

(٢) اطبي : صرف . (٣) ديوانه : طارق .

(٤) رداع : أثر الطيب في الخشم . (٥) صائك : لاصق ، من صاك به الطيب ، يصيك :
أى لصق به .

(٦) من قصيدة يفتخر ، ويعاتب قوماً من أهل بلده ، (ديوانه ١ : ٩٦) .

أَنِ اهْتَدَيْتِ لِحُرِّ مِنَ تَصَوَّبُوا لِسْفُوحِ مَكَّةَ مِنْ رُبَا عَرَفَاتِ
 ذَكَرْتِنَا عَهْدَ الشَّامِ وَعَيَّشَنَا بَيْنَ الْقِبَابِ الْبَيْضِ الْمُهْضَبَاتِ
 إِذْ أَنْتِ شَكْلُ الْخَالِفِ وَمُؤَافِقٍ وَالدَّهْرُ فِيكِ مَمْانِعٌ وَمُؤَاتِي
 لَوْلَا مَكَاثِرَةُ الْخَطُوبِ وَنَحْنُهَا مِنْ جَانِي لَكُنْتِ مِنْ حَاجَاتِي

وقال أيضاً^(١) :

إِذَا نَسِيْتَ هَوَى لِبَلِي أَشَادَ بِهِ
 طِيفُ سَرَى فِي سَوَادِ اللَّيْلِ إِذْ جَنَحَاهَا
 دَنَّا إِلَيْهِ هَلَى بُعْدِ فَارِقَنِي حَتَّى تَبَلَّجَ صَوْنُه الصُّبْحِ فَاتَّضَحَا
 عَجِبَتْ مِنْهُ تَخْطُّى الْقَاعَ مِنْ إِضَمِّ وَجَاؤَ الرَّمْلَ مِنْ خَبْتِ وَمَا بَرِحَا
 قال الأمدى : كيف يقول تخطى القاع ، وجاؤ الرمل ، ثم يقول
 وما برح ، ثم يقول : كأنه أراد ما برح على الحقيقة ، ثم سأله نفسه ، فقال : فإن
 قيل هي التي لم تبرح على الحقيقة ، وأما خيالها إذا طرق وهي بعيدة ، فقد
 برح . وأجاب بأن خيالها إنما هو صورتها التي تتصور في النفس ، والصورة
 أيضاً غير بارحة على الحقيقة . فقولهم طرق الخيال ، وزار الخيال : مجاز .
 ويجوز أن يكون قوله وما برح : أى ما برحت هي ، وجعل خيالها بدلاً منها ،
 ووضعه في موضعها ، لأنها هي . ألا ترى إلى قول جرير :

(١) من قصيدة مدح بها الفتح بن خاقان (ديوانه ١ : ١١٤) .

طَرَقَتْكَ صَانِدَةً الْقُلُوبِ وَإِنْسَدَّاً وَقْتُ الزَّيَارَةِ فَارْجِعِي بِسَلامٍ^(١)
 قال الآمدي : وقيل إنه أراد خيالها فوضع ذلك في موضعه ، لأن
 خيالها ليس هو شيئاً غير صورتها . قال : وقد استجف الناس قوله :
 « فارجعى السلام » ، وإنما قال هذا ، لأنه عاتب عليها ، ألا ترى إلى
 قوله بعد هذا :

لَوْ كَانَ عَهْدُكِ كَالذِّي عَاهَدْتَنَا^(٢) لَوْصَلْتِ ذَلِكَ فَكَانَ غَيْرَ رِمَامٍ
 قال : وظرفة أول من طرقه ، فقال :
 فَقُلْ لِخَيَالِ الْحَنْظَلِيَّةِ يَنْقَلِبْ إِلَيْهَا فَإِنِّي وَاصِلُ حَبْلَ مَنْ وَصَلْ
 قال : وهذا أعدل من جرير ، لأنه قال : فإني واصل حبل من وصل .
 فدل على أن الحنظلية هجرته ووصلته غيرها ، فطرد خيالها . ونقول إن
 لم يبيت الباحترى معنى ما وقع للآمدى ، وهو أشبه بالصواب مما ذكره ، وهو
 أنه لما قال : عجبت منه تخطى القاع ، وجاؤز الرمل ، وذلك كله لم
 يكن ، وإنما أشبه له وتخيل إليه مala حقيقة له ، أراد أن تبين هذه الإضافة
 غير حقيقة ، فكان له أن يقول : وما تخطى ، ولا جاؤز الرمل ، كما قال في موضع
 آخر : « أَنِّي اهتَدِيتُ وَمَا اهتَدِيتُ » ، فعدل إلى أن قال : « وَمَا بِرْحًا
 لأن من لم يرتح مكانه ما تخطى ولا جاؤز ، فكانه استعار الطيف الذى

(١) من قصيدة يرد بها على الفرزدق (ديوانه ص ٥٥١ مذ الصاوي) .

(٢) ديوانه ص ٥٥١ : حدثنا .

ما تخطيَ الوصف له بأنه مابرَح ، وإن كان لا يليق به من كل الوجود ، لأن الذي لم يبرح مفارق مكانه ، ولا زال من موضعه . وهذا وصف لا يليق بالطيف ، لكن مالم يبرح مانخطي . والطيف مانخطي ، فكانه مابرَح . فاما قوله : إن الصورة أيضاً غير بارحة فكلام غير صحيح ، لأن الطيف الذي يتصور ويتمثل ، ليس بشيء يشار إليه ، فتثبت له البراح ، أو تنفي عنه . وقوله : يجوز أن يريد بقوله مابرحا : أي مابرحت هي ، ووضع خيالها في موضعها قرير .

فاما بيت جرير الذي أنسده فال أولى في معناه : أن يريد أنها طرقته بنفسها زائرة على الحقيقة لاطيفها . فقال لها عتبًا عليها ، أو خوفاً من وضع الزيارة في غير موضعها : ارجعى بسلام ، لأنَّه قد قال في البيت : وليس ذاهين الزيارة . ومن خاف الرقباء ، ولم يأمن على محبوه من الأقوال الخارجة ، والتهم الفادحة ، استعن بما يطرق ذلك ويشره . وليس في لفظ البيت ما يدل على اختصاص بالخيال ، لأنَّ الطروق الذي هو الزيارة ليلاً ، يكون لغير الخيال ، كما يوصف به الخيال ، وهو في غير الخيال حقيقة ، وفي الخيال مجاز . وحمل الكلام – إذا أمكن – على الحقيقة أولى .

وأى معنى لقوله : «وليس ذا حين الزيارة» إنَّ كان عنِّي الطيف؟ وله كل معنى إذا أراد به الزيارة الحقيقة . والذي قاله الأمدي قد قاله قوم ، وغيره أصوب منه وأقرب . فاما بيت طرفة ، فهو صريح في طرد الخيال

وقد بَيَّنَ عن العلة في طرده له، وليس كبيت جرير الذي هو بغير الخيال أشبه ، وفيه أوقع .

وقال البحترى أيضًا^(١) :

أَمْنِكِ تَأْوِلُ الطِّيفِ الطَّرُوبِ حَبِيبٌ جَاءَ يَهْدِي مِنْ حَبِيبٍ
تَخَطَّى رِقْبَةَ الْوَاثِينَ وَهُنَّا وَبُعدَ مَسَافَةَ الْحَزَنِ^(٢) الْمَجُوبِ
يُكَادِبُنِي وَأَصْدُقُهُ وَدَادًا وَمِنْ كَلَفِ مُصَادَقَةِ الْكَذُوبِ

وقال أيضًا^(٣) :

عَجَبًا لِهِجْرِكِ قَبْلَ تَشْتِيمِ النَّوَى مِنَّا وَوَصْلُكِ فِي التَّنَانِي أَعْجَبُ
أَنِّي اهتَدِيتِي وَمَا اهتَدِيتِي لِمُغْمَدِي
أَتَرَكْتِي بِالْخَيْلِ ثُمَّ طَلَبَتِي بِخَلْيَجِ عَانَةِ حِينَ عَزَّ الْمَطَلَبُ

وقال أيضًا^(٤) :

إِذَا قَلْتُ قَضَيْتُ الصَّبَابَةَ رَدَّهَا خِيَالٌ مُلِمٌ مِنْ حَبِيبٍ نُحَانِبِ
يَجُودُ وَقَدْ ضَنَّ الْأَلَى شَغْفِي بِهِمْ وَيَدُنُو وَقَدْ شَطَّتْ دِيَارُ الْحَبَائِبِ
تُرِينِيكِ أَحَلَامُ النَّيَامِ وَيَهْنَنَا مَفَاوِرُ يَسْتَفْرِغُنَ جُهْدَ الرَّكَائِبِ

(١) من قصيدة يمدح بها هيثم بن هارون بن المعمور (ديوانه ١ : ٨٤) .

(٢) ديوانه : الخرق . (٣) هذه الأبيات ليست في ديوانه طبع هندية .

(٤) من قصيدة يمدح بها المعتر (ديوانه ١ : ٩٠) .

وقال أيضاً^(١) :

سَرَى الطِيفُ مِنْ ظَمِيَاءٍ وَهُنَّا فَرَحَبَا
 وَهُلَّا بِمَسْرَى طِيفٍ ظَمِيَاءٍ مِنْ مَسْرَى
 الْمَاءِ يَسْفِرُ لاغِيْمَ وَأَيْنُقِ
 ذَرَعْنَ بِهِمْ^(٢) مِنْ أَذْرِعَاتِهِ إِلَى بُصْرَى

وقال أيضاً^(٣) :

قَدْ كَانَ طِيفُكَ مَرَّةً يَغْرِي بِي يَعْتَادُ رَكْبِي طَارِقًا وَرِكَابِي
 فَالآنَ مَا يَزِدُ دُرُّ غَيْرَ مَغْبَثَةٍ وَمِنَ الصَّدُودِ زِيَارَةُ الْإِغْبَابِ
 قَوْلَهُ « وَمِنَ الصَّدُودِ زِيَارَةُ الْإِغْبَابِ » : مِنْ أَلْطَفِ الْكَلَامِ ، وَأَشَدُهُ
 وَصْلًا إِلَى كُلِّ قَلْبٍ .

وقال أيضاً^(٤) :

أَمْتَ وَهُلْ إِلَامُهَا لَكَ نَافِعُ وَزَارَتْ خِيَالًا وَالْعَيْوَنُ هَوَاجِعُ
 يَنْفَسِيَ مَنْ تَنَائِي وَيَدْنُو ادَّ كَارُهَا وَيَبْذُلُ عَنْهَا طِيفُهَا وَتَمَانِعُ

(١) من قصيدة يمدح بها خارويه (ديوانه ١ : ١٢) .

(٢) ديوانه : بنا .

(٣) من قصيدة يمدح بها ابراهيم بن المدر (ديوانه ١ : ١٤) .

(٤) من قصيدة يمدح بها الفتح بن خاقان (ديوانه ٢ : ٧٦) .

وقال أيضاً^(١) :

طَوَّلَ هَذَا الْلَّيْلَ أَنْ لَا كَرَى يُرِيكَ مَنْ تَهُوَى وَأَنْ لَا هُجُوجٌ يَكْضِبُ هَزِيعٌ لَمْ يَطْفُ طَافَ مِنْ عِنْدِ أَسْمَاءٍ وَيَأْتِي هَزِيعٌ

وقال أيضاً^(٢) :

وَيَهْبِي جُنْيَ أَنْ لَا يَرَالُ يَرَ وَرْنَى مِنْهُ خَيَالٌ مَا يَغْبُبُ مُطِيفُهُ

وقال أيضاً^(٣) :

يَهْدِي الْخَيَالُ لَنَا ذِكْرَى إِذَا طَافَا تَصْدِقُ^(٤) الْمَنْعَ سَلَمَ حِينَ نَسَاهَا نَيَالاً وَتَكْذِبُ بُنَآ وَصَلَا^(٥) وَإِشْعَافَا

وقال أيضاً^(٦) :

وَزَوْرُ خَيَالٍ بَعْدَ وَهْنِ الْمَبَى وأَحْشَاؤُهُ مِنْ فَرْطٍ خِيفَتُهُ تَهْفُو

إن قيل كيف يليق هذا الوصف بالخيال ، قلنا : المعنى أن أحشاء صاحب هذا الطيف ، لوزارني هذه الزيارة ، تهفو من الخيفة ، فأجري على الطيف ما هو لصاحب الطيف ، وهذا توسيع يحتمل للشعراء ، ويحسن منهم.

وقال أيضاً^(٧) :

قَرَّ فِي دُجُونَةِ الْلَّيْلِ يُؤْفِي أَمْ خَيَالٌ مِنْ عِنْدِ سُعْدَى يُؤَافِي

(١) من قصيدة يمدح بها الشاه بن ميكال (٢ : ٩٥) .

(٢) يمدح الفتاح بن خاقان (ديوانه ٢ : ١١٤) وفيه : منها خيال .

(٣) يمدح الطائ (٢ : ١٠٦) . (٤) ديوانه : تصدقنا المنع سعدى .

(٥) ديوانه : بذلا . (٦) ايس في ديوانه طبع هندية .

(٧) يمدح أحمد بن الإسكنافي (ديوانه ٢ : ١٠٨) .

مُسِعِفٌ بالذى مَتَّ سُلْطَتُهُ عَدِمتْ حَظُّهَا مِنَ الإِسْعَافِ

وقال أيضًا^(١) :

مَرَحَبًا بِالخِيَالِ مِنْكِ الْمُطِيفِ فِي شَمْسٍ لَمْ تَتَصِلْ بِكُسُوفِ
كِيفَ زُرْتُمْ وَدُونَكُمْ رَمْلُ يَنْبِرِينَ فَقَلْجَ وَالْحَىُّ غَيْرُ خَلُوفِ
وَرِدَاهُ الظَّلَمَاءُ فِي صِبْغِهِ الْأَسْوَدِ وَالصَّبْحُ مِنْ وَرَاءِ سُجُوفِ
زَوْرَةٌ سَكَنَتْ غَلِيلًا وَقَدْ هَا جَتْ غَلِيلًا مِنْ هَائِمٍ مَشْغُوفِ

وقال أيضًا^(٢) :

خِيَالٌ مَاوِيَّةٌ الْمُطِيفُ أَرْقَ عَيْنَاهَا وَكِيفُ
أَكْثَرَ لُؤْمِي قَلَّ هُواهَا رَكَبٌ عَلَى دِمْنَةٍ وَقَوْفُ

وقال أيضًا^(٣) :

وَطِيفٌ سَرَى حَتَى تَناولَ فِتْيَةً سَرَوْا يَحْمِلُونَ^(٤) الْلَّيْلَ حَتَى تَمَرَّقَا

وقال أيضًا^(٥) :

تَبَهَشُ^(٦) النَّفْسُ إِلَى زَوْرِ الْكَرَى وَمَتَاعُ النَّفْسِ فِي زَوْرِ الْأَرْقِ

(١) مدح إبراهيم بن الحسن بن سهل (ديوانه ٢ : ١٠٣) .

(٢) مدح عبدون بن مخلد (ديوانه ٢ : ١١٥) .

(٣) مدح يوسف بن محمد (ديوانه ٢ : ١٢٩) . (٤) ديوانه : يلبسوه .

(٥) مدح صاعداً (ديوانه ٢ : ١٢١) .

(٦) تبهش : ترتاح له ، وتحف إليه .

وقال أيضاً^(١) :

أهلاً بذِكْرِكمُ الْخَيَالِ الْمُقْبِلِ فَعَلَ الَّذِي نَهَوْاْهُ أَمْ لَمْ يَفْعُلِ

وقال أيضاً^(٢) :

فَلَا عَهْدَ إِلَّا أَنْ يُعَاوِدَ ذَكْرُهَا وَلَا وَصْلَ إِلَّا أَنْ يَرْزُورَ خَيَالُهَا
وَقَدْ كَفَتْ أَرْجُو وَصْلَهَا بَعْدَ هَجْرِهَا وَوَصَالُهَا

وقال أيضاً^(٣) :

إِذَا أَرْسَلْتُ طَيفَ رَبِّكَنِي الْجَوَى رَدَدْتُ إِلَيْهَا بِالنَّجَاحِ رَسُولَهَا
وَقَالَ أَيْضًا :

أَجِدَكَ إِنْ لَمْ تَأْتِ الْخَيَالِ
لَمْذِكْرِتِي بِأَيَّامِ الْوِصَالِ^(٤)
ثُوَرَّقْنِي إِذَا الرُّثْقَابَهُ نَامُوا

وقال أيضاً^(٥) :

هَذَا الْحَبِيبُ فَرِحَّبَا بِخَيَالِهِ
أَقْتَى اهْتَدَى وَاللَّيلُ فِي سِرْبَالِهِ
بَلْ كَيْفَ زَارَ وَدُونَهُ مَجْهُولَةً
مِنْ سَبَبْ قَفْرِ تَمُورٍ^(٦) بَالِهِ

(١) ليس في ديوانه طبع هندية . (٢) يمدح المنوكل (ديوانه ٢ : ١٧٩) .

(٣) يمدح إسماعيل بن يليل (ديوانه ٢ : ١٩٧) .

(٤) ليست في ديوانه طبع هندية .

(٥) يمدح أبا نهشل (ديوانه ٢ : ١٩٠) . (٦) ديوانه : يعود .

سَارِ تَجَاوَزَ مِنْ شَقَائِقِ عَالَمٍ
بَعْدَ الْمَدَى مِنْ سَهْلٍ وَجِبَالٍ
حَتَّى تَفَنَّصَهُ الْكَرَى لِمُتَمِّمٍ
لَوْلَا الْكَرَى لِشَفَاهُ مِنْ بَلْبَالٍ

يريد : لو لأن زيارته في الكرى ، وهي تخيل وتمثيل ، لشفته هذه
الزيارة من ببلاله ، لأنها إذا لم تكن في الكرى كانت حقيقة ، فاتفع بها ،
ووقيت في موقعها .

وقال أيضاً^(١) :

زَائِرٌ فِي الْمَنَامِ يَهْجُرُ يَقْظَا نَ وَيَدْنُو مَعَ الْمَنَامِ وَصَالُهُ

طَارِقٌ أَرْهَقَ الْزِيَارَةَ وَالصَّبَحُ مُطْلِّبٌ أَوْ قَدْ دَنَا إِطْلَالُهُ

وقال أيضاً^(٢) :

وَخِيَالٌ أَمْ مِنْهَا عَلَى سَا عَةٍ هِيجُرْ قَلْتُ أَهْلًا وَسَهْلًا

وقال أيضاً^(٣) :

يَهْيَجُ لِي طَيفُ الْخَيَالِ صَبَابَةً فَلَهُ مَا طَيفُ الْخَيَالِ الْمَهْيَجُ

وقال أيضاً^(٤) :

أَعَادَ شَكْوَى مِنَ الطَّيْفِ الَّذِي اعْتَادَ رُشْدًا تَوَحَّى أَمْ غَيْرًا وَإِفْسَادًا

(١) مدح أبي بكر الكاتب (ديوانه ٢ : ٢٢٠).

(٢) مدح المعز بالله (ديوانه ٢ : ١٦٩).

(٣) مدح إسماعيل بن بليل (ديوانه ١ : ١٠٥).

(٤) مدح ابن الفياض (ديوانه ١ : ٢٠٢) وفيه : إفادا في موضع : إفسادا .

أَلْمَ بِي وَبِيَاضُ الصُّبْحِ مُنْتَظَرٌ قَدْ رَقَ عَنْهُ سَوَادُ اللَّيلِ أَوْ كَادَا
وقال أيضاً^(١):

أَلْمَ بِي طَيفُهَا وَهَنَا فَأَعْوَرَهُ عِنْدِي وِجُودُ كَرَّى بِالدَّمْنَعِ مَطْرُودٍ
وقال أيضاً^(٢):

خَطِيلَةُ لَيْلَةٍ تَنْضِي وَلَا يُورِقُنِي خِيَالُ مِنْ سُعَادٍ
وَهَجَرُ الْقُرْبِ مِنْهَا كَانَ أَشَهَى إِلَى الْمُشَتَّاقِ مِنْ وَصْلِ الْبَعَادِ

وقال أيضاً^(٣):

يَدِيتُ خَيَالُهَا مِنْهَا بَدِيلًا وَيَقْرُبُ ذِكْرُهَا عِنْدَ الْبَعَادِ

وقال أيضاً^(٤):

وَسَرَى خَيَالُكَ طَارِقًا وَعَلَى اللَّوَى عِيسَى مُطَلَّحَةُ وَرَكْبُ هَاجِدٍ

وقال أيضاً^(٥):

بَعْدَتْ دَارُهَا فَمَا مِنْ تَلَاقٍ غَيْرُ طَيفٍ يَزُورُنِي فِي الْمَجُودِ

(١) من قصيدة يمدح بها أَحْمَدُ بْنُ عَبْدِ الْوَهَابِ (ديوانه ١ : ١٧٣).

(٢) يمدح الفتح بن خاقان (ديوانه ١ : ١٢٨).

(٣) يمدح عبد الله بن يحيى بن خاقان (ديوانه ١ : ١٦١).

(٤) من قصيدة يمدح بها الحسن بن مخلد (ديوانه ١ : ١٤٢).

(٥) يمدح المعتز بالله (ديوانه ١ : ١٩٣).

أَتَرَا هَا دَامَتْ عَلَى الْعَهْدِ أُمْ مِنْ عَادَةِ الْفَانِيَاتِ نَقْضُ الْعَبُودِ

وقال أيضًا^(١) :

عجِّباً لطيفِ خيالِكِ المتعاهِدِ
ولوِصِّلِكِ المتقارِبِ المتباعدِ
يدنو إذا بَعْدَ المَزَارُ وَيَنْتَهِي
في القربِ لِيسَ أخوهُ الْهُوَى بِعَانِدِ
ما ذا أرادَ مِمْ طَيْفِكِ فِي الْكَرَى
من وَاعِلٍ بَيْنَ الْحَوَادِثِ شَارِدٍ
مُتَحِيرٍ يَغْدو بَعْزِمٍ قَائِمٍ وَجَدِّيْ قَاعِدٍ

وهذه الأبيات حسنة ، ما يشينها إِلَّا عجزُ البيت الثاني ، في قوله :

لِيسَ أخوهُ الْهُوَى بِعَانِدِ

وطرح هذا البيت ، من أوله إلى هذا الموضع من آخره ، طرح صحيح
ملين ، فليته ختمه بمثل ما بدأ به . ولأنَّظم سُكُرات وَعَمَرات يدخل عليه
فيهن من الشبه مالا يكاد ينحصر وينضبط .

وقال أيضًا^(٢) :

فَإِنْ بَخِلْتِ فَلَا وَصْلٌ وَلَا عِدَّةٌ^(٣)

غَيْرُ اهْتِدَاءِ خَيَالِ مِنْكَ زَوَّارِ

(١) يمدح الحضر بن أحمد (ديوانه ١ : ١٦٨) .

(٢) يمدح أبي صالح وي مدح المستعين (ديوانه ١ : ٢٢٢) .

(٣) ديوانه : صلة .

لَا شَكَلَ لِلْقَمَرِ السَّارِي
بَيْنَتْ طُلُعَتِهِ مِنْ طِيفِكِ السَّارِي
إِذْ ضَارَعَ الشَّمْسَ فِي حُسْنٍ وَفِي مِقَةٍ
وَطَالَعَ الْبَدْرَ فِي وَقْتٍ وَمَقْدَارٍ
لِيلٌ تَقْضِي وَمَا أَدْرَكَتْ مَأْرَبَتِي
مِنَ الْلَّقَاءِ وَمَا قَضَيْتُ أَوْظَارِي
وَقَالَ أَيْضًا^(١) :

تَقْضِي الصَّبَا إِلَّا خِيَالًا يَعُودُنِي
بِهِ ذُو دَلَالٍ أَحْوَرُ الْطَّرْفِ فَاتَّرَهُ
يَحْبُوبُ سَوَادَ اللَّلِيلِ مِنْ عَنْدِ مُرْهَفٍ
ضَعِيفٌ قَوَامُ الْخَصْرِ سُودٌ غَدَائِرُهُ
فِيدُ كَرْتُنِي الْعِيدَ^(٢) الْقَدِيمَ وَلَيَلَهُ
لَدِي سَمُّرَاتِ الْجِزْعِ إِذْ نَامَ سَامِرُهُ
وَقَالَ أَيْضًا^(٣) :

مِنْ أَجْلِ طِيفِكِ عَادَ مُظْلِمٌ لِيَهُ
أَهْوَى^(٤) إِلَيْهِ مِنْ مُضِيِّ نَهَارِهِ
وَقَالَ أَيْضًا^(٥) :

سَرَى مِنْ خِيَالِ الْمَالِكِيَّةِ مَا سَرَى
فَتَّمَّ ذَا الْقَلْبَ الْمَعَنِّي وَأَسْهَرَهَا
دُنْوًا بِأَسْلَامِ الْكَغْرِي مِنْ بَعِيدَةٍ
تُسِّى بِنَا فَعْلًا وَتَحْسُنُ مَنْظَرَا
وَمَا وَصَلَتْ فِي النَّوْمِ إِلَّا لِتَذَوَّرِي
وَمَا قَرَبَتْ بِالْطَّيْفِ إِلَّا لِتَذَنَّوِي

(١) يَمْدُحُ يُوسُفُ بْنُ مُحَمَّدٍ (دِيْوَانُهُ ١ : ١١) . (٢) دِيْوَانُهُ : الْوَصْلُ .

(٣) يَمْدُحُ أَبَا عَمْرِ بْنِ أَحْمَدَ (دِيْوَانُهُ ٢ : ٨) . (٤) دِيْوَانُهُ : أَحْلِي .

(٥) يَمْدُحُ الْمُعْتَزِ بِاللهِ (دِيْوَانُهُ ٢ : ٥٠) .

وقال أيضاً^(١) :

لَا يَنِي يُوفِدُ الْحَبِيبَ إِلَيْنَا كَذِبُ الطَّيفِ سَارِيًّا وَغَرُورُهُ
زَائِرًا فِي الْمَنَامِ أَسْأَلُ هَلْ أَطْ رَقْهُ فِي مَنَامِهِ أَوْ أَزُورُهُ

وقال أيضاً^(٢) :

هَجَرَتْ وَطَيْفُ خَيَا لَهَا لَمْ يَهْجُرْ وَنَاتْ بِحَاجَةِ مُغْرَمٍ لَمْ يُقْصِرِ

وقال أيضاً^(٣) :

أَطْلَبُ النَّوْمَ كَيْ يَعُودَ غِرَارُهُ بِخِيَالٍ يَحْلُو لِدَىَ اغْتِرَارُهُ كَمْ تَلَاقِي أَرْتَكَهُ مِنْ قَرِيبٍ صِلَةُ الطَّيفِ طَارِقًا وَازْدِيَارُهُ

وقال أيضاً^(٤) :

بَرَّحَ بِي الطَّيفُ الَّذِي يَسْرِي وَزَادَنِي سُكْرًا إِلَى سُكْرِي وَنَشْوَةُ الْحُبُّ إِذَا أَفْرَطْتَ بالصَّبَّ جَازَتْ نَشْوَةُ الْخَمْرِ

وقال أيضاً^(٥) :

مَا قُلْتُ لِلطَّيفِ الْمُسْلِمِ لَا تَمْدُ تَفْشِي وَلَا كَفَ كَفَتْ حَامِلَ كَاسِ

(١) يمدح ابن ميكال (ديوانه ٢ : ٢٠).

(٢) يمدح المستعين (ديوانه ١ : ٢٢٣).

(٣) يمدح ابن ميكال (ديوانه ٢٨ : ٢). (٤) يمدح المعتر بالله (ديوانه ٤٠ : ٢).

(٥) يمدح أبو الحسن بن عبد الملك (ديوانه ٢ : ٥٩).

وقال أيضاً^(١) :

فلم يبقَ من معروفِها غيرُ طافِيفٍ
يُلْمِ بنا وَهُنَّا إِذَا الرَّكْبُ هُوَ مَا
يَكَادُ وَمِيقَطُ الْبَرْقِ عِنْدَ اعْتِراضِهِ
يُضَيِّعُ خِيالًا جَاءَ مِنْهَا مُسْلِمًا

وقال أيضاً^(٢) :

أَكَانَ الصَّبَا إِلَّا خِيالًا مُسْلِمًا أَقَامَ كَرَجْعَ الظَّرْفِ حَتَّى تَصَرَّمَا

وقال أيضاً^(٣) :

إِنَّ طِيفًا يَرُزُورُنِي فِي النَّاسِ لَخَلِيلٌ مِنْ لَوْعَتِي وَغَرَامي
غَادَةٌ بَتٌّ أَحْمِلُ اللَّوْمَ فِيهَا وَعَنَاهُ الْحَبَّ طَولُ الْمَلَامِ

وقال أيضاً^(٤) :

وَإِذَا مَا أَبَى الْحَبِيبُ مُوَاتِاً فِي تَبَلُّغِتُ مُؤْتَمِ

وقال أيضاً^(٥) :

فَكَمْ لِيَلَةٌ أَهْدَتْ إِلَيَّ خِيالَهَا وَسَهَلَ الْفَيَافِي دُونَهَا وَحُزْنُهَا^(٦)

(١) مدح الفتح بن خاقان (ديوانه ٢ : ٢٢٧).

(٢) مدح الهيثم الغنوسي (ديوانه ٢ : ٢٢٣).

(٣) مدح المتوكل (ديوانه ٢ : ٢٦٨).

(٤) مدح عبدون بن مخلد (ديوانه ٢ : ٢٤٥).

(٥) مدح المهدى باقه (ديوانه ٢ : ٢٣٠).

(٦) الحزن : ما كان من الأرض أغلظ من الحزن.

تطيب بمسراها البلاد إذا سرت فينعم رياها ويصفو نسيمها

وقال أيضاً^(١):

إذا زرود دنت منا صرامها فلا حالة من زور يوافيها
بتنا جنوحًا على كثب اللوى وأبى طيف لظماء إلا أن يحيينا

ومما يدخل في هذا الباب بعض الدخول، أن البحترى شبه زائرًا زاره
بالخيال سرى وبه خيفة أن لا يكون لزيارته حقيقة ، فقال^(٢):

وزور أتاني طارقا سفينة خيالاً أتى من آخر الليل يطرق
أقضم فيه الظن طوراً مكذباً به أنه حق ، وطوزراً أصدق
أخاف وأرجو بطل ظني وصدقه فله شكى حين أرجو وأفرق
وقال في هذا المعنى^(٣):

حبيب سرى في خفية وعلى ذعر
تشككت فيه من سورى وخلته
يحبوب الدهى حتى التقينا على قدر
خيالاً أتى في النوم من طيفه يسرى
انقضى ما للبحترى .

وهذا ابتداء ما أخرجته من شعر أخي رضى الله عنه ، ونضر وجهه !

(١) هذه الأبيات ليست في ديوانه طبع هندية .

(٢) يدح المعذى بالله (ديوانه ٢ : ١٢٤) . (٣) يدح المعذى بالله (ديوانه ٢ : ٢) .

[ما أخرجه المؤلف من شعر أخيه الشريفي،

في طيف الخيال]

قال رضي الله عنه ، وهي قطعة مفردة :

إِنْ طَيْفَ الْخَيَالِ زَارَ طُرُوقًا وَالْمَطَايَا بَيْنَ الْقَنَانِ وَشَغَبٍ^(١)
فَوْقَ أَكْوَارِهِنَّ أَنْصَاءَ شَوْقٍ طَرَقُوا بِالْغَرَامِ دُونَ الرَّكْبِ
كَلَمَا أَتَتِ الْمَطَىُّ مِنِ الْإِعْمَاءِ أَثْوَامَنَ الْجَوَى وَالْكَرْبِ
زَارَنِي وَاصْلَأَ عَلَى غَيْرِ وَعْدٍ وَانْتَنِي هَاجِرًا عَلَى غَيْرِ ذَنبٍ
كَانَ قَلْبِي إِلَيْهِ رَائِدَ عَيْنِي فَعَلِيَ الْعَيْنُ مِنْهُ لِلْقَلْبِ
بَتُّ أَهْوَ بِنَا عَمِ الْجَيْدِ غَضَبٍ وَفِيمِ بَارِدِ الْمُجَاجِةِ عَذْبٍ
بَلَّ وَجْدِي وَمَنْ رَأَى الْيَوْمَ قَبْلِي نَاقَةً لِلْغَلِيلِ مِنْ غَيْرِ شُرْبٍ
سَاحِحًا لِي عَلَى الْبَعْدِ بَنِيَّاً كَانَ يَلْوِيهِ فِي زَمَانِ الْقُرْبِ
كَانَ عَنْدَيَ أَنَّ الْفُرُورَ لَطَرْقِي فَإِذَا ذَلِكَ الْفُرُورُ لِقَلْبِي

(١) انظر ديوان الشريفي الرضي (١ : ١٣٩) بيروت . وقد وردت كلمة شغب بالعين المهممة في ديوانه المخطوط . انظر ورقة رقم ١٥٩ مخطوط رقم ١٤٠ أدب بدار السكتب . والصواب : بالعين ، وهو منهل بين المدينة والشام .

القنان وشَغْبٌ : موضعان معروfan . ومعنى كان قلبي إِلَيْهِ رَائِدُ عيني :
أن التخييل والتصور إنما هو للقلب ، فكأنَّ القلب خَيْلٌ للعين أنها ترى
حبيها ، فالمِنْة لَهُ عَلَيْهَا .

والبيت الآخر : معناه أني كنت أضيق الغرور إلى طَرْفِي ، وفي النوم
صار الغرور لقلبي ، لأنَّه خَيْلٌ لِمَا لَاحْقِيقَة لَهُ .

ولهذا المعنى نبأ لا بد من أن أذكره ، وهو أني لما كنت قلت في جملة قصيدة :

وَعَهْدِي بِتَمَوِيهِ عَيْنِ الْحَبَّ تَمَّ عَلَى قَلْبِي الطَّاَئِرِ
فَلَمَّا تَقَيَّنَا بِرْغُمِ الرَّقَا دِمَوَاهُ قَلْبِي عَلَى نَاظِرِي

وذلك على ما أظن في سنة نيف وثمانين وثلاث مِئة، تداول أهل الأدب
إنشاد هذه الأبيات ، واستغربوا هذا المعنى ، وشهدوا بأنه مستجدٌ ، غير
مبوق إِلَيْهِ ، ولا متعرِّض لَهُ .

وسمع أخي ، رضى الله عنه ، هذه الأبيات ، لأنَّه قَلَّا كَان يخرج لِـ
شيءٍ من الشعر ، إِلَّا ويسمعه وينشده ، ولا يخرج له - رحمه الله - طول حياته
إِلَّا ما ينشدنيه ، فشهد لهذا المعنى بأنه مبتكر مخترع ، وأنَّه مستحسن
مستعدَّب . ولم أسمع له - رحمه الله - طول حياته في هذا المعنى شيئاً . ولما
تصفحت شعره - رضى الله عنه - لإخراج ما يتعلَّق بالطيف في هذا الوقت ، وهو
سنة نيف وعشرين وأربع مِئة ، وجدت هذه الأبيات البائمة ملحقة بخطه

ـ رحمة الله ـ في الجزء الثاني من شعره ، في حاشية ، فنقلتها عنه كاوجب ، لأنها بخطه الذي لا أشك فيه .

ولست أعلم كيف جرت الحال في هذا المعنى ، وهل قصد ، رحمة الله ، إلى نظمه على علم ، حتى لا يخلو من شعره هذا المعنى المستغرب المستعذب ، أو أنسى ـ رحمة الله ـ سماعه له ، وقدف به خاطره ، وجرى على هاجسه ، فأثبتته تقديرا على أنه مبدع له ، لامتنع فيه . فكتيرا ما يلحق الشعراء ذلك ، فيواردون في بعض المعانى المسبوق إليها ، وقد كانوا سمعوها فأنسواها . فالخواطر مشتركة ، والمعانى معروضة لكل خاطر ، جارية على كل هاجس . وكيف جرى الأمر ، وعلى أي القسمين كان ، فإن العنصر واحد ، والمعدن واحد ، وأينا سبق إلى معنى ، فالآخر بالنَّجْر والسُّنْخ إلى سابق ، وبه عالق . وفي البيت الذى أوله :

كان قلبي إليه رائد عيني

إمام بهذا المعنى ، لأنَّه أضاف الخيال إلى القلب ، لأنَّه فيه يتخيل ، وله يتمثل ، والبيت الأخير الذى أوله :

كان عندي أن الغرور لطرف

هو الذى استوفى فيه المعنى الذى فى شعري ، لأنَّه أضاف الغرور فى النوم إلى القلب ، بعد أن كان مضافا إلى العين . ومع هذا التشاكل والتتجانس ،

لما نظمته أنا مزية ظاهرة ، لأنني قلت : إن من العادة أن تَغْرِي عين المحب
قلبه . وفي الخيال غَرَّ قلبُه عينه . وهذا التفصيل لا يوجد إلا في أبياتي .

وله من أثناء قصيدة :

طريقَ الخيالِ يَبْطِئُ وَجْرَةً بَعْدَ ما زَعْمَ العَوَادِلُ أَنَّهُ لَا يَطْرُقُ^(١)
أَتَخَذَنَا بَعْدَ الرَّفَادِ وَقَسْوَةً أَيَامَ أَصْفَيْكِ الْوَدَادَ وَأَمْذَقَ^(٢)
أَنِّي اهتَدَيْتُ وَمَا اهتَدَيْتُ وَبَيْنَنَا سُورَةُ عَلَىٰ مِنَ الظَّلَامِ وَخَنْدَقُ

هذه أبيات ناصعة رائقة ، عليها مسحة من أغراوية ، وعقبة من بدويية .

ومعنى زَعْمَ العَوَادِلُ أَنَّهُ لَا يَطْرُقُ : أنهم ظنوا ذلك واعتقدوه .

وله ابتداء قصيدة :

أَرَاقِبُ مِنْ طِيفِ الْخَيَالِ وَصَالَ وَيَابَىٰ خَيَالُ أَنْ يَرْزُورَ خَيَالًا^(٣)
وَهُلْ أَبْقَتِ الأَشْجَانُ إِلَّا مُهْلَلاً تَعَاوِدُهُ أَيْدِي الصَّنَى وَمِثَالًا
أَلْمَ بَنَا وَاللَّيلُ قد شَابَ رَأْسَهُ وَقَدْ مَيَّلَ الْغَرْبُ النُّجُومَ وَمَا لَا
يَنْخُوضُ بِحَارَّاً أَوْ يَجُوبُ رِمَالَا وَأَنِّي اهتَدَى فِي مُذْهَمٍ ظَلَامِهِ
تَأْوِبَ مِنْ نَحْوِ الْأَحْبَقِ طَارِدًا رُفَادِي وَمَا أَسْدَى إِلَى نَوَالَا

(١) ديوانه (٢ : ٤٤٢) بيروت . (٢) أمدق : لم تخلصي لـ الود .

(٣) من قصيدة يملح بها أبا الفتح عثمان بن جنى (ديوانه ٢ : ٦٤٠) بيروت .

أوائلَ مَسَّ الْعُمْضُ أَجْفَانَ مَقَاتِيٍ
كَمَا قَارَبَ الْقَوْمُ الْعَطَاشُ صِلَالًا
الصَّلَالُ : جَمْعُ صَلَّةٍ ، وَهِيَ أَرْضٌ مُطَرَّتٌ بَيْنَ أَرْضَيْنِ لَمْ تُطْرِأْ :
وَمَا كَانَ إِلَّا عَارِضًا مِنْ طَاعَةٍ
أَزَالَ الْكَرَّى عَنْ مَقْلَاتِيٍّ وَزَالَ
أَمْ قَوْلَهُ رَحْمَهُ اللَّهُ :

* وَرَأَيْتِ خَيَالًا أَنْ يَزُورَ خَيَالًا *

فَإِنَّمَا أَرَادَ أَنَّ الْخَيَالَ الَّذِي يَطْرُقُ فِي النَّوْمِ ، وَيَتَمَثَّلُ لِلرَّاقِدِ ، يَأْبَى أَنْ
يَزُورَ الْمُجَاهِلَ الْمَدَنَفَ ، الَّذِي قَدْ صَارَ خَيَالًا ، مِنَ الْمَحَافَةِ وَالنَّجْوَلِ . وَإِنَّمَا
سُمِّيَ النَّاحِلُ الَّذِي قَدْ ذَابَ جَسْمَهُ ، وَذَهَبَ لَحْمُهُ ، وَغَاصَتْ نَصَارَتُهُ ،
وَذَهَبَتْ غَصَاضَتُهُ ، خَيَالًا ، تَشَبِّهُ بِالْخَيَالِ الَّذِي يَتَمَثَّلُ لِلنَّائِمِ ، وَهُوَ مَا لَا حَقِيقَةَ
لَهُ وَلَا وِجْدَانٌ ، فَأَجْرَى مِنْ زَادَ نَحْوُهُ ، فَصَارَ عِنْدَ الرُّؤْيَا غَيْرَ مُتَحَقِّقٍ
وَلَا مُتَقْبِلٌ ، مُجْرِي الْخَيَالِ فِي النَّوْمِ ، الَّذِي لَا يَتَحَقَّقُ ، وَإِنَّمَا يُتَخَيلُ ، وَمَا زَالَتِ
الشِّعْرَاءُ تَصْفِ النَّاحِلَ بِأَنَّهُ خَيَالٌ ، لَا يَنْحَسُّ وَلَا يُدْرِكُ وَلَا يُعْلَمُ .
وَلِعُمَرِ بْنِ قَيْمَةَ ، وَبِقَالِ إِنَّهُ أَوَّلُ مَنْ نَطَقَ بِوَصْفِ الطَّيْفِ .

نَائِكَ أَمَامَةُ إِلَّا سُؤَالًا وَإِلَّا خَيَالًا يُوَافِي خَيَالًا
تُوَافِي مَعَ الظَّيْلِ مُسْتَوْطِنًا وَتَأْبَى مَعَ الصَّبْحِ إِلَّا زِيَالًا .
خَيَالٌ يُخَيِّلُ لِي نَيْلَهَا وَلَوْ قَدَرْتُ لَمْ يُخَيِّلْ نَوَالًا
(٥ — طَيْفُ الْخَيَال)

فانظر إلى هذا الطبع المتدايق، والنسيج المطرد المتسق ، من أغراضي فحّ ،
قيل إنه مفتح لوصف الطيف . وكأنه لأنطباع سبكه ، وجودة وضعه ،
قد قال في هذا المعنى السكثير ، ونظم منه الغزير ، وقلب ظاهره وباطنه ،
وباشر أوله وأخره . وكأنه قد سمع فيه من أقوال المحسنين ، وإجادة
المجيدين ، ماسلك منهجه ، وأخرج كلامه مخرجه . ولكن الله تعالى أودع
هؤلاء القوم من أسرار الفصاحة ، وهداهم من مسالك البلاغة ، إلى ما هو
ظاهر باهر . وهذا كان القرآن معجزا ، وعلما على النبوة ، لأنه أعجز قوما
هذه صفاتهم ونحوتهم .

ونظير قول ابن قيئه قول الجنون :

وإني لأشتغشى زمانى نعسة لعل خيالاً منك يلقي خياليا
وإذا أراد: لعل خيالك الذي هو طيف يلقاني . ووصف نفسه بأنه
خيال لنحوله ، وخفاء شخصه . لا وجه لقول الجنون إلا ذلك .

ومن مليح ماقيل في ذلك قول الشاعر :

وذبت حتى صرت لوزج بي في مقلة الوستان لم ينتبه
فاما قوله رحمة الله : « وأني اهتدى في مدتهم ظلامه » إلى تمام
البيت ، فازالت الشعراه في الشعر القديم والحديث ، تتعجب من اهتداء
الطيف إلى المصاجع ، وخفى الموضع ، مع الظلم المضل للثرة ، والبعد

القاطع للبُغَاة . وهذه جادة مسلوكة ، وطريق مهنيع ، وما ورد في ذلك
أكثـر من أـن يـحـصـى .

ومن قديم الشعر في ذلك قول الشاعر :

قلت لها أني اهتديت لفتية أناخوا بجماع قلائق سهما
فقالت كذاك العاشقون ومن يخف عيون الأعدى يجعل الليل سلما
وقال النظار الفقعنسي ، وأحسن كل الإحسان :

أني اهتدت لمناخنا جمل ومن الكرى لعيوننا كحل
طرقت أخا سفر وناجية خرقاء يفرق بينها الرحل
وتعللت بصري فها البزلم وكان أحذث من ألم به
درجت على آثاره النمل
وقال عبيد بن الأبرص :

طاف الخيال علينا ليلة الوادى
أني اهتديت لركب طال حبسهم^(١) وأعتقد
في سبسب بين دكداك^(١) وأعتقد
وأخبرنا أبو عبيدة الله محمد بن عمران المرزباني ، قال : أخبرني محمد بن يحيى ،
قال : أخبرنا محمد بن زكري يا الغلابي ، قال : قرأت على العباسة بنت السيد
ابن محمد الحميري ، لأبيها :

علوة زار الزائر المتأوب ومن دون مسراها الصفاح فكمكب
تسدّت إلينا بعد هدو ودونها طويلا الذرا من بطن تحلة أغلب

(١) أرض فيها غلظ . والأعتقد : جمع عقد بالتحريك ، وعقد بكسر القاف ،
وهو الرمل المتجمد .

فقلت لها أني اهتديت ودوننا فقار ترامي بالركب سبب
مخوف الردى ففر كأن نعامة عذاري عليهن الملاه المحبوب
وبهذا الإسناد ، قال : قرأت عليها لأبيها :

طاف الخيال علينا منك هنادا و هنا فاورتنا هما و نسنهادا
أني اهتديت لركن بين أودية لم تستدل لم تستحقني زادا
يا أحسن الناس من قرن إلى قدم
هام الفواد بكم هل طار أو كادا
ما هببت الريح لي من تخو أرضكم
إلا تحير ما في العين أو جادا

معنى قوله تحير : أنه وقف في العين ، وهي مطفحة به لا يجري . ونظير ذلك قول البحترى :

دمع تحير في الجفون فلم يزل برح الغرام يسوقة حتى جرى
و بالإسناد المتقدم قال : قرأت عليها لأبيها :

طاف من هند خيال فذرع ورمى عيني بدمع وسهر
قلت لما أن دنا مني له عرجبا ألفا بسمعي والبصر
هند من أين تحظيت إلى ركب أطلال مطينا قد حسر^(١)
تحت ليل ساقط أكفافه رحل صرعى من كل حال وسهر

(١) حسر العين : أعبا وتعب من طول السفر .

صَادَتِ الْقُلْبَ وَلَمْ تَعْمَدْ لَهُ بَشَّيْتِ النَّبَّتِ عَذْبِ ذِي أَشْرُ
وَهَذَا الرَّجُلُ، أَعْنِي السَّيِّدَ الْحَمِيرِيَّ، قَوْيَ الطَّبَعِ، جَزْلُ الْفَظِّ، سَلِيمٌ
التَّصْرِفُ وَالتَّقْلِبُ.

وقال البحترى :

أَنِ اهْتَدَيْتِ وَمَا اهْتَدَيْتِ لِمُغْمَدٍ فِي لَيْلٍ عَانَةَ وَالثَّرَيَّا تَجْنُبُ
مَا أَمْلَحَ مَا قَيلَ فِي هَذَا الْمَعْنَى! لِأَنَّهُ أَثْبَتَ الْاهْتِدَاءَ، وَمَا اهْتَدَيْتَ: تَنبِيهَ
عَلَى أَنَّ ذَلِكَ التَّخْيِيلُ باطِلٌ، وَالْتَّصْرِفُ مُحَالٌ. فَزَادَ عَلَىَّ مِنْ تَعْجِبِهِ مِنْ
الْاهْتِدَاءِ بِقَوْلِهِ: «وَمَا اهْتَدَيْتِ». وَهَذَا الْمَعْنَى يَجْعَلُ فِي الشِّعْرِ كَثِيرًا،
وَفِي شِعْرِي خَاصَّةً.

ولى :

وَكَيْفَ اهْتَدَى وَالْقَاعُ بَيْدِنِي وَبَيْدِنَهُ وَلَمَائِعَةُ الْقَطْرَيْنِ مَنَاعَةُ الْقَطْرُ
ولى أيضاً :

أَنِ اهْتَدَيْتِ وَكَيْفَ زُرْتِ وَبَيْدِنَنَا دُونَ الزَّيَارَةِ مَرْبَخٌ وَزَرْوُدُ؟!
وَإِنَّمَا تَعْجَبُ الشُّعْرَاءُ مِنْ اهْتِدَاءِ الطَّيفِ، وَتَخْلُصُهُ إِلَىِ الْمَضَايِقِ، وَخَفْيِ
الْمَسَالِكِ، لِأَنَّهُمْ فَرَضُوا زِيَارَتَهُ زِيَارَةً حَقِيقِيَّةً، وَطَرَوْقًا صَحِيْحًا، فَتَعْجَبُوا
مِمَّا يَتَعْجَبُ مِنْ مُثْلِهِ فِي ذَلِكَ، مِنْ طَرِيقِ الْبَعْدِ فِي أَقْصَرِ زَمَانٍ. وَمِنْ الْاهْتِدَاءِ
بِغَيْرِ هَادِ وَلَا مَرْشِدٍ، مَعَ تَرَا كَمِ الظُّلْمَ، وَتَشَابُهِ الْطَّرَقِ، وَقَدْ الظَّهَرَ. وَمِنْ
فَرْضِ شَيْئًا أَجْرَى أَوْ صَافَهُ لَهُ عَلَىِ مَا فَرَضَهُ، دُونَ مَا هُوَ عَلَيْهِ فِي نَفْسِهِ.

وَأَمَّا قَوْلُهُ، رَحْمَةُ اللَّهِ:

وَمَا كَانَ إِلَّا عَارِضاً مِنْ طَمَاعَةٍ أَزَالَ الْكَرَى عَنْ مُقْلَتِي وَزَالَ
فَازَالَتِ الشُّعْرَاءُ فِي الْقَدِيمِ وَالْحَدِيثِ تُصَفِّ الطَّيفَ بِأَنَّهُ طَمَعٌ كاذبٌ ،
وَظَنَّ بِاَبَاطِلٍ ، وَظَلَّ زَائِلٌ ، وَيَتَصَرَّفُونَ فِي ذَلِكَ أَحْسَنُ تَصْرِفٍ ، وَيَتَقَلَّبُونَ
أَمْلَحُ تَقْلِبٍ ، قَالَ الْفَرِزَدُقُ :

لَعْزِي لَقَدْ نَبَهْتِ يَا هِنْدُ مَيَّتَا
فَطَافَتْ بِأَطْلَاحٍ وَطَلْحَى كَائِنَا
فَبَاتَتْ بِنَا ضَيْفًا دَخِيلًا وَلَا أَرَى
وَكَفْتُ إِذَا مَا الرَّيْحُ جَاءَتْ بِنَشْرِهَا
وَلَقِيسُ أَيْضًا :

إِنَّ الَّتِي طَرَقَتْكَ بَيْنَ رَكَابِ
بَاتَتْ تَعْلَلُنَا وَتَحْسِبُ أَنَّنَا
حَتَّى إِذَا انْصَدَعَ الصَّبَاحُ لَنَاظِرٍ
نَظِيرُ قَوْلِهِ :

فِي ذَلِكَ أَيْقَاظٌ وَنَحْنُ نِيَامٌ ... وَتَحْسِبُ أَنَّنَا
قول البحترى :

إِذَا مَا تَبَادَلْنَا النَّفَائِسَ حِلَّتْنَا
وَقَالَ بَعْضُ بْنِي عَقِيلٍ :

أَمَا مِنْ لِيَالِي الدَّهْرِ إِلَّا يُبَعِّدُ
خَيَالُكَ إِلَّا تَيْلَهُ لَا أَنْتَ هُنْهَا
وَالْأَقْوَاعُ بْنَ مَعَاذَ :

لَقَدْ طَرَقْنَا أُمَّ عُمَانَ بَعْدَ مَا
هُوَ النَّجْمُ وَالسَّارِي إِلَى حَبِيبِ
فَحَيَّتْ فَحَيَّاهَا فَهَبَ فَحَلَقَتْ
مَعَ النَّجْمِ، رُوَبَا فِي الْمَنَامِ كَذُوبُ
وَالْحَمْدُ لِلَّهِ وَهُوَ كَثِيرٌ مِنْ مُثْلِهِ، وَرُوِيَ أَنَّهُ لَعْبَ الصَّمْدِ بْنَ الْمَعْذَلِ :

أَمَّ أَمَّهُ فَنِلتُهُ بِالْأَمَانِ
فِي مَنَامِي سِرًا مِنَ الْهِجْرَانِ
وَاصَّلَ الْحَلْمَ بِيَلْمَنَا بَعْدَ هَجْرِ
غَيْرِ أَنَّ الْأَرْوَاحَ خَافَتْ رَقِيبًا
مُنْظَرٌ كَانَ لَذَّةَ الْقَلْبِ إِلَّا
فِي مَنَامِي سِرًا مِنَ الْهِجْرَانِ
أَمَّهُ مَنْظَرٌ بَغْنَمٌ عِيَانِ

وَأَحْسَنْ ذَوَالْمَةَ فِي قَوْلِهِ :

إِذَا نَحْنُ عَرَسْنَا بِأَرْضِ سَرَى لَنَا
هُوَ لَبَسْتَهُ بِالْقُلُوبِ اللَّوَادِسُ
إِذَا مَادَجَا الْإِظْلَامُ مِنَا وَسَاوِسُ
نَائِنَ دَارُ مَىِّ أَنْ تُزَكَّرَ وَزَوْرُهَا

وَلِي في وصف الحمال بأنه باطل، ومحال زائل :

زِيَارَةُ الطَّيْفِ ضَرَبَتْ مِنْ قَطِيعَتِهِ
وَوَضَلَّ مَنْ لَا تَرَاهُ الْعَيْنُ هِجْرَانُ
وَسِيجِي، هذا البيت فيما أورده من شعرى، إن شاء الله تعالى .

وَلِي أَيْضًا فِي هَذَا الْمَعْنَى :

أَوْقَتُ فَلَمْ يَحْصُلْ عَلَى مَنِ الَّذِي
خَدِعْتُ بِهِ إِلَّا ظَنُونُ أَجِيلِهَا

ولى في الطيف أيضاً :

إِنَّمَا الْطَّيْفُ كَلْفٌ فارغ ما فيه مغنى

ولى في الطيف أيضاً :

فَمَا نَحْنُ إِلَّا فِي إِسَارٍ عَدَامَةٍ وَعِنْدَ كُرَانًا أَنْ ذَاكَ وُجُودُ

المعنى كثير. وسيجيء في مواضعه بعون الله تعالى . وإنما أشرنا هنا
إلى القليل منه .

وله من أثناء قصيدة^(١) :

أَلَمْ حَيَالُ الْعَامِرِ يَقُولْ بَعْدَ مَا
يُحْيِي طِلَاحًا حِينَ هَمُوا بِوَقْعَةٍ
تَهَاوُدًا عَلَى الْأَذْقَانِ مِمَّا تَعَسَّفُوا
كَمَا أَرْعَشَتْ أَيْدِي الْمُعَاطِينِ قَرْقَفُ

هذه أبيات وائلة إلى القلوب بغير استئذان ، لعدوتها مسمها ،
والـأَوْطَف : المسترخي . وإنما يعني شیوع الليل وشموله . والـطلاح : المغبون
الـكَلَّون من شدة السفر .

وله وهو ابتداء قصيدة^(٢) :

مَا عِنْدَ عَيْنِكَ في الخيالِ الزائِرِ
بَاتَ الْكَرَى عِنْدِي يُزَوِّرُ زَوْرَةَ
أَطْرُوقُ زَوْرِ أَمْ طَاءَةَ خَاطِرِ
من قاطع نَائِي الدِّيَارِ مُهَاجِرِ

وله من قصيدة^(٣) :

أَمِنْكِ الْخَيَالُ الطَّارِقُ بَعْدَ هَجَّةَ
يُعَاطِي جَوَى الظَّمَانِ مُبْتَسِمًا بَرَدًا

(١) يفتخر بآبائه (ديوانه : ٥٢٤) بيروت .

(٢) في الفخر (ديوانه : ٣٦٩) بيروت . (٣) من قصيدة في ديوانه ص ٣٠٧ ط بيروت

دَنَّا مِنْ أَعْلَى الرَّقَمَاتِينِ وَمَا دَنَّا
وَمِنْ عَجَبِ رِيْسٍ وَمَا نَقَعَ الصَّدَى
وَعَدَى لَهُ مَنَا حَلَّ وَمَا اعْتَدَى
أَسَاءَ لِيَالِيِ الْقُرْبِ نَائِيًّا وَهِجْرَةً
وَأَسْدَى عَلَى بُعْدِ مِنَ الدَّارِ مَا سَدَى
وله من قصيدة^(١) :

مَا لِذَا الرَّزُورِ مَا يُغَبِّ مِنَ الرَّمْلِ طَرُوفًا فِي مَضْجَعٍ قَدْ أَفْضَى
مَهْدِيَالِي مِنْ طِيبِ أَرْوَاحِ تَجْدِيدِ مَا يُدَّاوِي نُكْسَ الْعَلِيلِ الْمُنْضَى
لَمْ يَكُنْ غَيْرَ خَطْرَةِ الْبَرْقِ، مَازَوْ دَعْنِينَ الْمَشْوُقِ إِلَّا وَمَضَى
قَادَهُ الْغُمْضُ مِنْ زَرْوَدَ فَلَمَّا زَارَ أَنْجَيَ عَنْ مُقْلَتِي الْغُمْضَا
يَرِيدُ أَنْهَ لَمَّا تَصْرُمْ وَتَقْضِي، لَمْ أَنْمِ شَوْقًا إِلَيْهِ، وَتَنْهَفَا عَلَيْهِ، فَالْغُمْض
جَالِبٌ لَهُ، وَهُوَ مُشَرِّدٌ لَمَّا جَلَبَهُ وَأَحْضَرَهُ .

وله من قصيدة^(٢) :

وَزَائِرٌ زَارَ عَلَى نَائِيِ بَمْدَ الْأَسَى عَادَ بَعِيدَ الْغَرَامِ
أَمْزِلَ عِنْدَ عَقِيقِ الْحَمَى وَمَضْجَعَ عِنْدِي بِأَعْلَى الشَّامِ
زِيَارَةً زَوَرَهَا خَاطِرِي مَا أَقْنَعَ النَّفْسَ بِزُورِ الْنَّامِ !
خَدَائِعُ أَغْضَى عَلَى عِلْمِهَا أَعْلَمُهَا تَنْقَعُ هَذَا الْأَوَامِ

(١) في الفخر (ديوانه : ٤٣٩) .

(٢) في وصف جارية (ديوانه ٢ : ٧٥٦) .

وله من جملة قصيدة^(١):

يَا حَبَّذَا مِنْكِ خَيَالُ سَرَى
فَدَلَهُ الشَّوْقُ فَلَى مَضْجَعِي
بَاتَ يُعَاطِينِي جَنَى ظَلَمِهِ
وَبَتُّ ظَمَانَ وَلَمْ أَنْقَعْ
مُعَانِقًا كَانَ عِنَاقِي لَهُ
وَرَاءَ أَحْشَائِي وَالْأَضْلَعُ
عَافَرَ فِي يَسْرَبُ مِنْ مُهْجَتِي
رِيَا وَيَسْقِي فِي مِنْ أَدْمُعِي

معنى قوله رحمه الله : « فدله الشوق على مضجعي » يزيد شوقاً إليه، لا شوقة إلى ، لأن المحب الكليف بمحبوبه، لفتر طووجه و كلفه، يتخيلاً له في المنام محبوبه ، ويتمثل له حضوره ، فلهذا أضاف اهتمامه لمضجعه إلى شوقة . ومعنى قوله رحمه الله : « معايقاً كان عنق ليه »: يزيد: أنني تخيلت بقلبي ، وجري على اعتقادى وأنا نائم ، أنني معايق له ، فـ كان عنق ليه من حيث تخيله بقلبي ، كأنه في أحشائي ، ووراء أضلاعى . والعنق المعناد الحقيقي إنما هو بظاهر الأحشاء والأضلاع .

انقضى مالاً خى رضى الله عنه .

(١) يمدح بهاء ، الدولة (ديوانه ٢ : ٤٥٣) بيروت .

[ما أخرجه المؤلف من شعره هو في طيف الخيال]

وهذا ما أخرجه من ديوان شعري :

لِي مِنْ أُولَى قصيدة أُولَاهَا :

لَوْلَمْ تَعَاجِلَهُ النَّوْيُ لِتَحِيرَأَ

أَهْلًا بِطِيفِ خِيَالٍ مَانِعَةٍ لَنَا يَقْتَضِي وَمُفْضِلَةٌ عَلَيْنَا فِي الْكَرَى

مَا كَانَ أَنْعَمَنَا بِهَا مِنْ زَوْرَةٍ لَوْبَاعِدَتْ وَقْتَ الْوُرُودِ الْمَصْدَرَأَ

أَرَدْتُ فِي الْكَرَى مِنْ لَا غَيْرَ، لِأَخْرُجَ مِنْ ضَيْقِ الْعَذْرِ الَّذِي اتَّفَقَ
لِلْبَحْتَرِيَّ فِي قَوْلِهِ : «تَهْجِرُ وَسَنِي». وَلِيَكُنْ عَذْرُ قَيْسَ بْنُ الْخَطَّيمِ فِي قَوْلِهِ:
«تَؤْتَيْنِهِ فِي النَّوْمِ» هُوَ عَذْرُ لَقْوَلِي : «مُفْضِلَةٌ عَلَيْنَا فِي الْكَرَى». وَقَدْ
تَقْدِمُ كَلَامِي فِي ذَلِكَ .

ولِي مِنْ قصيدة أُولَاهَا :

حِيَيْتَ يَارَبَّ اللَّوَى مِنْ مَرَبَعٍ

أَحْبَبْتُ إِلَيْيَّ وَقَدْ تَغْشَى ناظِرِي

وَسَنَ الْكَرَى بِالْطِيفِ يَطْرُقُ مَضْجَعِي

ما زالَ يَخْدَعُنِي بِاسْبَابِ الْكَرَى حَتَّى خَشِيتُ بِأَنَّهُ حَقًا مَعِي
وَلَقَدْ عَجِبْتُ عَلَى الْمَسَافَةِ بَيْنَنَا كَيْفَ اهْتَدَى مِنْ غَيْرِ هَادِي مَوْضِعِي
أَفْضَى إِلَيْيَّ شُفْعَتْ لَقَوْا هَامَاتِهِمْ لَمَسُوا حَمَرَ الْكَرَى بِالْأَذْرَعِ
هَجَعُوا قَلِيلًا ثُمَّ زَعَزَعَ نَوْمَهُمْ غَبَ الشَّرَى دَاعِي الصَّبَاحِ الْمُسْمِعِ

إنما أضفت خديعة الطيف إلى الكرَى ، لأنَّه لو لا النوم وأسبابه ،
ما تخيل الطيف ولا تمثل . وإنما قلت داعي الصباح المسمع ، لأنَّه ليس كل
داع مسمعاً ولا بجابة . ولما كان الناس يستيقظون وينشرُون عند الصبح ،
جعلنا داعيَه مسْمِعاً .

ولى من قصيدة أولها :

ألا حبذا زمن الحاجر

وَزَوْرٌ تَخَطَّى جَنُوبَ الْمَلَأِ فَنَادَيْتُ أَهْلَهُ بِذَا الزَّائِرِ
أَتَانِي هُدُوْا وَعَيْنُ الرَّقِيْبِ بِمَطْرُوفَةٍ بِالْكَرَى الْغَامِرِ
فَأَعِجَّبَ بِهِ يُشَعِّفُ الْمَاجِيْمِنَ وَتُحْرَمُهُ مَقْلَةُ السَّاهِرِ
وَعَهْدِي بِتَمْوِيهِ عَيْنِ الْمُحِبِّ تَرْمِمُ عَلَى قَابِيِّ الطَّائِرِ
فَلَمَّا التَّقَيْنَا بِرَغْمِ الرِّثْقَا دِمَوَهُ قَلْبِي عَلَى نَاظِرِي

الملأ : الأرض الواسعة . وما كانت طرفة العين تحجز عن إبصارها ،
وكان الكرَى أيضاً كذلك ، جعلت عين الرقيب من حيث منعها النوم
عن الرؤية ، كأنها به مطروفة . والعادة أن عين الحب تموه على قلبه ، حتى
يستحسن ما ليس بحسن ، أو ما لم يبلغ الغاية التي تخيلها أو اعتقادها .
وفي النوم انقلب هذه العادة ، وصار القلب يخيل أن العين ترى ما ليس
تراه على الحقيقة .

فإن قيل : التخييل والا اعتقاد إنما هو بالقلب ، في نوم أو يقظة ،
ولا حظ للعين فيه في الحالين . فالجواب أن الأمر على ذلك ، لكن العين
في اليقظة تكون سبباً لتخيل القلب فـ ط حسن بعض الأشخاص ، وإن لم

يُكَنْ كَذَلِكَ ، فَأَضِيفُ التَّوْيِهِ إِلَيْهَا ، لِأَنَّهَا كَالسَّبِيلِ فِيهِ . وَفِي النَّوْمِ يَعْتَقِدُ
النَّائِمُ بِقَلْبِهِ ، وَيَتَخَيَّلُ أَنَّهُ يَرَى بَعْيَنِهِ مَا لَيْسَ يَرَاهُ عَلَى الْحَقِيقَةِ ، فَصَارَ الْقَلْبُ
سَبِيلًا لِلتَّخَيَّلِ شَيْءًا يُضَافُ إِلَى الْعَيْنِ ، مِنْ رَوْيَةِ مَا لَيْسَ يَرَاهُ ، فَكَانَ التَّوْيِهُ
هَاهُنَا مِنَ الْقَلْبِ عَلَى الْعَيْنِ ، وَلَيْسَ يُحْتَمِلُ الشِّعْرُ هَذِهِ الْمُخَاصِبَةُ وَالْمُنَاقِشَةُ ،
وَالإِشَارَةُ فِيهِ تَكْفِي . وَقَدْ قَصَصْنَا خَبَرَ هَذِهِ الْأَبْيَاتِ فِيهَا أُخْرِجْنَاهُ لِأَخْرِي
رَحْمَهُ اللَّهُ .

ولِي أَيْضًا :

أَمْنِكِ سَرَى طِيفٌ وَقَدْ كَادَ لَا يَسْرِي
وَنَحْنُ جَمِيعًا هَاجِعُونَ عَلَى الْفَمِ
تَعَجَّبَتْ مِنْهُ كَيْفَ أَمَّ رَكَابَنَا وَأَرْحَلَنَا بَيْنَ الرُّحَالِ وَمَا يَدْرِي
وَكَيْفَ اهْتَدَى وَالْقَاعُ بَيْنِ وَبَيْنِهِ وَمَكَاعِدُ الْقَطْرِ
وَأَفْضَى إِلَى شُغْلِ الْحَقَائِبِ عَرَسُوا عَلَى مَنْزِلٍ وَغَرِّ وَدَاوِيَةٍ قَفَرٍ
وَقَوْمٌ لَقُوا أَعْصَادَ كُلَّ طَلِيْحَةٍ بِهِمْ مَلَاهُنَّ النُّعَاسُ مِنَ السُّكْرِ
سَرَوْا وَسِكَكُ الرَّمْحِ فَوْقَ رُؤُوسِهِمْ
فَمَا هُوَنَا إِلَّا عَلَى وَقْعَةِ النَّسْرِ
وَبَاتَ ضَجِيعًا كِلَّ وَنَحْنُ مِنَ الْكَرَى كَأَنَّا تَرَوْيَنَا الْعَتِيقُ مِنَ الْخَرْ
أَضْمَمُ عَلَيْهِ سَاعِدَى مِنَ الْحَشَا وَأَفْرِشَهُ مَا يَنْسَأْ سَحْرِيَ إِلَى نَحْرِي
تَمَدِّيَتُهُ وَاللَّيْلُ سَارٌ بِشَخْصِهِ إِلَى مَضْجَعِي حَتَّى التَّقَيْنَا عَلَى قَدْرٍ

معنى « وقد كاد لا يسرى » : أنتي ما كنت طاما فيه ، ولا راجيا له ، ولا مخددا ثا نفسى به . وإنما قلت مناعة القطر ، وهى على الحقيقة منوعة ، لامناعة ، لأنما بين لمسة ومناعة . والمعنى مع ذلك صحيح ، لأنها تمنع القطر السائر فيها ، وتعدمه منها . فجاز أن يقال مناعة ، وإن كانت هى أيضا منوعة .

ومعنى البيت الذى أوله :

وقوم أقوا أعضاد كل طيبة

أنهم توسدوا أذرع المطى كلا لا واستبعالا ، وتصعلكا وتحشنا ، وإنما قلت سماك الرمح ، ولم أقل السماك الرامح ، لضيق الشعر ، وما عد لنا مع ذلك إلا إلى لفظ مقبول غير مستقبل ، وبين كون السماك الرامح مسامقا لقمة الرأس ، وبين وقعة النسر ، وهى تدلية للغروب ، زمان طويل مدید . ومعنى البيت الأخير أنتي تميته ، وكانت روبيتى لطيفه عجيب ذلك ، فكان الليل كان ساريا به فى وقت المدى للقارى ، حتى كان اللقاء عجيب المنى .

ولى أيضا :

ألا يابنةَ الحَيَّينِ مالي وَمَا لَكِ
وَمَاذا الْذِي يَتَقَبَّنِي مِنْ خِيالِكِ
هَجَرْتِ وَأَنْتِ الْهُمُّ إِذْ نَحْنُ حِيرَةٌ
وَزُرْتِ وَشَحَطْتُ دَارُنَا مِنْ دِيَارِكِ
فَمَا نَلْتَقِي إِلا عَلَى نَشْوَةِ الْكَرَى
بِكُلِّ خُدَارِيِّ مِنَ اللَّيْلِ حَالِكِ
وَتَجْمَعُنَا زُهْرُ النُّجُومِ الشَّوَّابِكِ
يُغَرِّقُ فِيهَا بَيْنَنَا وَضَحَّى الضَّحَّى

وَمَا كَانَ هَذَا الْبَذْلُ مِنْكِ سَجِيَّةً
فَكَيْفَ أَتَقَيَّنَا وَالْمَسَاوَةُ بَيْنَنَا
وَقَدْ كُنْتِ لَكَ أَوْسَعُونَا وِشَاهَةً
فَلَمْ يَقُلَّ فِي أَيَّاتِنَا بَعْدَ مَا وَهَتْ
وَأَيْنَلَةً يُبَنَّادُونَ رَمْلَةً مُرْبِخٍ^(١)
وَمَا كَانَ مِنْ يَسْتَوْطِنُ الرَّمْلَ طَامِعًا
وَلَا امْتَطَيْتِ اللَّيْلَ كُنْتِ حَقِيقَةً
الْخُدَارِيُّ: الظَّلْمُ. وَسَحَابُ الْخُدَارِيُّ وَعَقَابُ الْخُدَارِيُّ: فِي لَوْنِهَا سُوَادٌ .
وَهَذِهِ أَيْمَاتٌ غَرِيبَةُ الْطَّرْحِ، بَدْوِيَّةُ النَّسْجِ كَمَّتْرَاهُ .

ولِيَ منْ قصيدةً أَوْلَاهَا :

إِنَّ الْعَقِيقَ يَرِيدُنِي خَبَلًا
يَاطِيفُ زُرْنَا إِنْ نَشَطْتَ لَنَا فَالرَّكْبُ بِالْأَبْنَاءِ قَدْ نَزَّ لَا
عُدَّ النَّهَارَ مَطِيَّةً وَحْدُ الظَّلَامَ عَلَى السُّرَى جَمَلًا
وَدَعَ التَّطْلُبَ فَالْحَمِيدُ إِذَا مَلَّ الْأَوْصَالَ تَطَلَّبَ الْعِلَالَ
عَجَّلَ سُرَكَ إِلَى مَضَاجِعِنَا وَإِذَا حَضَرْتَ فَلَا تَعِبَ عَجَلاً
مِنْ أَيْنَ تَعْلَمُ مِنْ تُحَاذِرُهُ قَطْعَ الْخَيَالِ الْحَمْلَ أَمْ وَصَلَّا
اللَّغُوبُ : هُوَ الْكَلَالُ وَالتَّعَبُ . وَأَرَدتُّ أَنْ زِيَارَةَ النَّهَارَ كَالمَطِيَّةِ
اللَّاغِبَةِ، الَّتِي لَا يَمْكُنُ السَّيرُ عَلَيْهَا ، فَيُجَبُ العَدُولُ عَنْهَا إِلَى سُرَى اللَّيْلِ الَّذِي

(١) سقطتَ كَلْمَةُ سَحَابٍ مِنَ الْأَصْلِ . وَسَحَابٌ خُدَارِيٌّ : أَسْوَادٌ . وَمُرْبِخٌ : جَبَلٌ مِنْ

جَبَالٍ زَرَودٍ ، أَوْ رَمْلَةً بِالْبَادِيَّةِ (الْأَسَانِ) . (٢) يُقالُ رَمْلَةً عَانِكَ : أَيْ فِيهَا تَعْقِدُ .

يُسْتَرُ وَلَا يُظْهَرُ . وَالبِيتُ الرَّابِعُ مُلِحُ الْمَعْنَى . وَمِنْ جَيْدِ مَا مَدَحَتْ بِهِ زِيَارَةُ
الطِّيفِ ، أَنَّهَا غَيْرُ مَعْلُومَةٍ لِتَتَبَعُ ، وَلَا مَحْسُوبَةٌ لِتُرَصَدُ .

وَلِي أَيْضًا :

يَا طَيْفُ أَلَا رُزْتَنَا بِسُوَادٍ لَمَّا تَضَرَّعْنَا حِيَالَ الْوَادِي
مَا كَانَ شَرَكَ وَالْوَشَاءُ بِمَعْزِلٍ عَنَّا جَمِيعًا لَوْ طَرَقْتَ وِسَادِي
وَالرِّئْيُ فِيكَ وَقَدْ صَدَدْتَ فَقْلَنْ لَنَا مِنَّا غَلِيلَكَ كَيْفَ يَنْقَعُ صَادِ
وَمِنْ أَجْلِ أَنْكَ تُسْعِفِينَ عَلَى الْكَرَى
أَهْوَى الرُّقَادَ وَلَاتَ حِينَ رُقادِ
وَالْحُبُّ دَاهِ فِي الْقُلُوبِ سَقَامَهُ خَافِ عَنْدَ الرُّقَباءِ وَالْعُوَادِ
يَا زَوْرَةَ مِنْ بَاخِلٍ بِرْ قَادِهِ عَجَلْتَ عَطَيْتَهُ عَنِ الْمِيَادِ
تَرَكَ الْبَيَاضَ لِآمِنٍ وَأَنَّى يَهُ فَرَقَ الْوَشَائِقَ فِي ثَيَابِ حَدَادِ
أَرَدْتَ بِقُولِي : « وَالْوَشَاءُ بِمَعْزِلٍ عَنَّا » : أَى أَنَّهُمْ لَا يَشْعُرُونَ لَنَا بِخَبْرِ ،
وَلَا يَقْفَوْنَ مَنَا عَلَى أَثْرٍ . وَقُولِي : « عَجَلْتَ عَطَيْتَهُ عَنِ الْمِيَادِ » أَى أَنَّهَا
سَبَقَتِ الْمِيَادِ ، وَخَلَّتْ بِغَيْرِ وَعْدٍ . وَأَرَدْتَ بِالْبَيَاضِ : النَّهَارُ ، فَإِنْ زِيَارَةُ
النَّهَارِ لَا تَكُونُ إِلَّا مَعَ الْأَمْنِ وَالْأَبْسَاطِ . وَأَرَدْتَ بِالْحَدَادِ : سُوَادُ اللَّيلِ .
لَأَنَّ الْخَائِفَ يَسْتَرُ بِظَلَمَةِ اللَّيلِ ، وَيَسْتَجْنَ بِسُوَادِهِ .

وَلِي أَيْضًا مِنْ قُصْيدَةِ أَوْلَاهَا :

أَمِنْكِ الشَّوْقُ أَرْقَنِي فَهَا جَا

وطَيْفُكِ كَيْفَ زَارَ بِذَاتِ عِرْقٍ مَضَاجِعَ فِتْيَةَ وَنَجَّوَا فِي جَاجَا
 فَطَرَقَنَا وَنَحْنُ نَخَالُ أَلَا يَعُوجَ بِنَا مِنَ الْبَلْوَى فِي جَاجَا
 فَأَوْهَنَّا اللَّقَاءَ دَلَّا لِقَاءَ وَنَاجَى لَوْ بِصِدْقٍ مِنْهُ نَاجِي
 أَمَّا بِنَا وَمَا رَكَبَ الْمَطَابِيَا وَلَا أَسْرَى وَلَا ادَّلَجَ ادَّلَاجَا
 ولِي من قصيدة أولها :

يَا صَاحِ لَيْسَ إِسْرَى مِنْكَ كِنَانُ
 مَاذَا عَلَى زَائِرِي لِيَلَا عَلَى سِنَةِ
 لَوْ زَارَ صُبْحًا وَطَرْفُ الْعَيْنِ يَقْظَانُ
 زِيَارَةُ الطَّيْفِ ضَرَبَ مِنْ قَطِيعَتِهِ
 وَوَصَلَ مَنْ لَا تَرَاهُ الْعَيْنُ هِجْرَانُ
 وَلَيْسَ يَنْفَعُنِي وَالْبَعْدُ أَعْلَمُهُ قُرْبُ أَتَانِي بِهِ ظَانٌ وَحِسْبَانُ
 هَذَا مِنْ هَجْوِ الطَّيْفِ الغَرِيبِ الْوَاقِعُ ، لَأَنَّ الْزِيَارَةَ إِذَا كَانَتْ باطِلَةً
 لَا أَصْلَ لَهَا فَهِيَ عَلَى الْحَقِيقَةِ قَطِيعَةٌ . وَوَصَلَ مَنْ لَا تَرَاهُ الْعَيْنُ هِجْرَانٌ بَغِيرٌ
 شَبِهَ ، لَأَنَّ هَذَا الْبَيْتُ كَانَ غَرِيبًا ، فَإِنِّي لَمْ أَجِدْ لَهُ عَلَى هَذَا التَّرْتِيبِ
 نَظِيرًا . وَأَرَدْتُ أَنْ الظَّنْ وَالْحِسْبَانَ الَّذِينَ خَيَّلَافِ النَّوْمِ الْقُرْبُ ؛ لَا يَنْفَعُانَ
 مَعَ الْبَعْدِ الْمُتَحَقِّقِ الْمُتَقِنَّ .

ولِي من قصيدة أولها :

أَمَالَكِ مِنْ غَرَامٍ مَا أَمَالَ
 هَجَرَتِ وَنَحْنُ أَيْقَاظُ بِوَجْهٍ وَزُرْتِ وَنَحْنُ كَاظِمَةَ^(١) حَيَا

(١) أَيْ بِكَاشَةَ ، سَقْطِ الْجَارِ ، فَتَصْبِ الْإِسْمِ .

ولَيْسَ الْحُجْرُ عَنْ سَبَبِ وَلَكِنْ : خَلَوْتُ وَمَا خَلَوْنَا مِنْكُ بِالْأَ
وَطِيفِ مِنْكُ بِجَنُوبِ تَجْدِيدِ
أَرَانِي مِنْ زِيَارَتِكُ مِثَالًا
فَلَمَّا زَانَ عَنَّا النَّوْمُ زَانَ
وَدِدْتُ لَهُنَّ أَنَّ اللَّيْلَ طَالًا
بِيَاضِكِ أَنْ يُلْمِنَ بَنَاءَ ضَلَالًا
فَلَيْسَ الصُّبْحُ مِنْ أَرْبَيْ وَحْسَبِيْ
أَنْكُنْهُ ظِلَالًا

أَوْقَعَ مَا وَصَفَتْ بِهِ زِيَارَةُ الطَّيفِ : أَنْهَا مِثَالُ الزِّيَارَةِ الْحَقِيقِيَّةِ ، كَمَا أَنَّ
الْطَّيفَ مِثَالُ اصْحَابِهِ وَلَا حَقِيقَةَ لَهُ .

وَلِيْ مِنْ قُصْيَدَةِ أَوْلَاهَا :

أَمِنْ أَجْلِ مَنْ سَارَتْ بِهِنَّ الْأَبَاعِيرُ
وَيُعْجِبُنِي وَالنَّاعِيجَاتُ مُشِيشَةُ
خِيَالِ مِنَ الرَّوْرَاءِ فِي اللَّيْلِ زَائِرُ
يَزُورُ وَأَعْنَاقُ الْمَطَىِّ خَوَاضِعُ

وَلِيْ مِنْ قُصْيَدَةِ أَوْلَاهَا :

قِفِ الْعِيسَى عَلَى الْوَادِي	أَلَا أَيْهَا الْحَادِي
، أَمْسَى وَهُوَ مُعْتَادِي	وَأَيْنَ الْطَّفُّ مِنْ ظَمِيَا
صَرِيعًا بَيْنَ رُقَادِ	جَفَا صُبْحًا وَوَافَانِي
كَلَالَ بَيْنَ أَعْضَادِ	وَأَعْنَاقُ الْمَطَابِيَا مِنْ
وَفَارَقْنَا بِأَجْسَادِ	تَلَاقَيْنَا بِأَرْوَاحِ

الأرواح لا يصح عليها في الحقيقة التلاقي والتزاور ، ولكن الشعرا
لما رأوا أن الأجساد في طيف الخيال لم تلتاق ، ولا تندان ، نسبوا التلاقي
إلى الأرواح ، تعويلاً على قول من جعل النفس لها قيام ب نفسها ، وأنها غير
الجسد ، وأن التصرف لها ، فجرينا على هذه الطريقة ، وإن كان ذلك
باطلاً في التحقيق .

ولى من قصيدة أولها :

يُومَ الْحَمِيِّ مَا أَنْتَ مِنْ هَمَّيِ
لَوْ كَانَ لِلْوَاهِسِينَ مَقْدِرَةٌ مَا سَوَّغُوكَ زِيَارَةَ الْحَلْمِ
زَرْتِ الْأُلَى بِأَنُوَا بِكَاظِمَةٍ مُّقْلَمَهُمْ جَوَى عَلَى الرَّضَمِ
طَرَحُوا الْخُدُودَ عَلَى سُوَادِهِمْ وَاللَّيلُ فِي أَنْوَابِهِ الشَّحْمِ
وَلَقَدْ طَرَقْتِ وَمَا طَرَقْتِكِ فِي عِلْمٍ لِقَائِهِمْ وَلَا رَجْمٍ
إِنَّمَا أَرْدَتُ تَفْخِيمَ شَأنَ هَذِهِ الْزِيَارَةِ ، وَحْلَوةَ طَعْمِهَا ؛ لِأَنَّ الْلَّذَاتِ
الْوَارِدَةُ مِنْ غَيْرِ اسْتِسَابٍ وَلَا انتِظَارٍ ، أَنْفَعُ وَأَوْقَعُ .

ولى من قصيدة أولها :

تَلَكَ الدَّيَارُ بِرَأْمَتَيْنِ هُمُودٌ
وَلَقَدْ طَرَقْتِ وَمَا طَرَقْتِ صَبَابَةَ يَمِنَى وَنَحْنُ إِلَى الرَّحَالِ هُجُودٌ
فِي ظَلٍّ خُوصٍ كَالْقِسْيَ طَلَائِحٍ أَخْذَتْ عَوَارِيَهُنَّ مِنْهَا الْبِيدُ

أَنِي اهتَدَيْتُ وَكَيْفَ زُرْتُ وَبَيْتَنَا دُونَ الْزِيَارَةِ مُرْبِخٌ وَزَرَودٌ
 وَمَفَاوِزٌ مِنْ دُونِنَ مَفَاوِزٌ وَتَهَامٌ مِنْ فَوْقِنَ نَجُودٌ
 مَعْنَى « عَوَادِيَنْ » مِنْهَا الْبَيْدُ : أَنَّ هَذِهِ الْمَطَالِيَارَعَتْ مَنَابِتَ الْأَرْضِ
 وَشَجَرَهَا فَأَسْنَنَهَا، وَلَا أَجْهَدَهَا السَّيْرُ، وَخَدَدَ لَحْوَهَا وَأَهْزَهَهَا ، صَارَ مَا كَانَ
 أَسْنَنَهَا أَهْزَهَهَا، فَكَأَنَّهُ مُسْتَرِدٌ لِعَارِيَتِهِ .

هَذَا مَعْنَى مَطْرُوقٌ مَعْرُوفٌ فِي الشِّعْرِ الْقَدِيمِ وَالْحَدِيثِ . وَمُرْبِخٌ وَزَرَودٌ :
 رَمْلَانِ فِي طَرِيقِ مَكَةَ ، مَعْرُوفَانِ شَاقَانَ .

ولى من قصيدة أولها :

أشاعرَةُ بِمَا يَلْقَى ظُلُومُ
 وَأَيْمَلَةَ زَارَنَا مِنْكُمْ خَيَالُ
 وَوَجْهُ الْأَيْلَى مِنْ وَضَحَّى بَاهِمُ
 أَكَمَ بِيَاطِلِ وَيَوَدُ قَلْبِي
 وَدَادًا أَنَّهُ أَبَدًا مُقْتَمِ
 وَأَحْسَبَهُ الصَّرْجِيعَ عَلَى وِسَادِي
 وَمَارَامَ اللَّقَاءَ وَلَا يَرُومُ
 وَكَيْفَ يَرُورُ مِنْ بَلَدٍ بَعِيدٍ
 وَلَا عَنْقَ هُنَاكَ وَلَا رَسِيمُ

إِنَّا قَلْتُ : مَارَامَ اللَّقَاءَ وَلَا يَرُومُ ، فَنَفَّيْتُ الْمَاضِيَ وَالْمُسْتَقْبَلَ ، لَأَنَّ الطَّيفَ
 إِنَّا هُوَ تَخْيِيلٌ لَا حَقْيَقَةَ لَهُ . فَلَيْسَ هُوَ بِمَا يَجُوزُ أَنْ يَرُومُ ، لَامَاضِيَا
 وَلَا مُسْتَقْبَلاً .

ولى من قصيدة أولها :

أَعْلَى الْعَوْنَى مَنْزِلٌ بِالْجَنَابِ

حَىٰ بِالرَّقْمَةِ زَوْرَا تَوَحَّا لَكَ دُجَى بَعْدَ هَذَاءِ الْأَصْحَابِ
 زَارَنِي وَازْفَادُ مِنِي وَمِنْهُمْ دَاخِلٌ فِي الْعَيْوَنِ مِنْ كُلِّ بَابِ
 زَوْرَةٌ زُوْرَتْ عَلَىٰ وَلَوْ كَا نَتْ يَقِينًا لَمَا شَفَتْ بَعْضَ مَا بِي
 قَوْلِي : « دَاخِلٌ فِي الْعَيْوَنِ مِنْ كُلِّ بَابِ » : كَنَايَةٌ عَجِيْبَةٌ عَنْ تَمْكِنِ
 النَّوْمَ مِنَ الْقَوْمِ ، وَاسْتِقْرَارِهِ فِي عَيْوَنِهِمْ ، وَتَحْكُمِهِ فِيهِمْ ، وَإِنَّمَا أَرْدَتْ
 الْإِسْتِغْرَافَ التَّامَ فِي النَّوْمِ .

ولِي مِنْ قَصِيدَةِ أُولَئِكَ :

أَدْرِ أَيْثَمَا السَّاقِ الْكَئُوسَ عَلَىٰ صَحْبِي
 فَيَا طِيفَهَا أَلَا طَرَقْتَ رِحَالَنَا وَنَحْنُ هَلِ الْأَذْقَانِ فِي جَانِبِ الشَّغْبِ
 نَشَاوِي كَأَنَّا سَاوَرَنَا زُجَاجَةٌ مُضَرَّجَةٌ النَّاجُودِ دَامِيَةُ السَّكِّبِ
 بِنَا مِنْ هَوَى لُقْيَاكِ كَرْبَ تُحِبِّهُ
 فَلَوْ زُرْتَنَا نَفَسْتِ مِنْ ذَلِكِ الْكَرْبِ
 وَمَا ضَرَّ مَنْ يَأْبَى زِيَارَةً مُقْلَتِي مُجَاهِرَةً لَوْ زَارَ مُسْتَخْفِيَا قَلْبِي
 وَمَنْ ضَنَّ فِي لُقْيَايَ بِالصَّدْقِ مُسْرِفًا
 هَلِي مُرْتَجِيَهُ كَيْفَ يَبْخَلُ بِالْكِذْبِ

معنى البيت الرابع : قد تقدم شرحه عند بيان معنى قوله :

مَوَاهَ قَلْبِي عَلَىٰ نَاظِرِي

لأن زيارة المهاجرة هي التي ترى العين فيها الشخص على الحقيقة ،
وزيارة القلب : التي تمثل فيها للقلب من زيارة الطيف ما لا حقيقة له .

ولى من قصيدة أو لها :

لَيْتَ أَنَا لِمَا فَقَدْنَا الْمُجُوعَا

قُلْ اطِيفِ الْحَيَالِ لَيْلَةَ هَوَّمْنَا بِنَجْدِيْ أَلَا طَرَقْتَ هَزِيعَا
وَالْمَطَايَا مِنَ الْكَلَالِ هَلَى رَمْلِ زَرْوِيْ قد افْتَرَشْنَ الْفُلُوعَا
مَا فَلَى مَنْ يَحِلُّ بِالْغَوْرِ لَوْبَا تَلَانَا طِيقُهُ بِنَجْدِيْ ضَجِيعَا
خَادِعُونَا بِالْزَّوْرِ مِنْكُمْ عَنِ الْحَقِّ فَا زَالَ ذُو الْهَوَى تَخْدُوعَا
وَكَلُونَا إِلَى النَّزُوعِ عَنِ الْحُبِّ وَهَيَّاهَا أَنْ يُرِيدَ النَّزُوعَا
وَاطَّلُبُوا إِنْ وَجَدْتُمْ كَاتِمَ الْسِّرِّ فِيكُمْ فَقَدْ وَجَدْنَا الْمُذِيعَا

ولى من قصيدة أو لها :

يَا حَادِيَ الْعِيسِ عَرَّجْ بِي عَلَى الدِّنِ

وَقَدْ جَفَانِي حَتَّى إِنْ طَارِقَهُ فِي ظُلْمَةِ اللَّيْلِ عَهْدًا لَيْسَ يَطْرُقُنِي

وَمَنْ يَضِنْ بِرَزَورِ مِنْهُ كَيْفَ يَدِي^(١)

وَالنَّقْلُ لِلْحَقِّ يَوْمًا فِيهِ يَنْقُصُنِي

(١) كنا في الأصل ، وفي اللام خوض .

من ضن بالباطل مع سهولته وخفته ، كيف لا يضن بالحق مع
نبله وكثافته .

ولى أيضا ، وهى ابتداء قصيدة :

زَارَكَ زَوَارُ الْحَلْمِ	مَسْلَمًا بِذِي سَلَمَ
فِي لِيَلَةٍ ظَلَّمُوهَا	حَالِكَةٌ مِنَ الظُّلْمِ
كَانَهَا إِنْيَدَةً	أَوْفَحَمَةٌ مِنَ الْفَحْمِ
جَاهَ وِسَادِي عَائِدًا	فَلَمْ أَرِنْ مِنَ السَّقَمَ
وَالرَّكْبُ فِي ظَلَّتْ نَقَى	لَوْزَ عَزَّوْهُ لَانْهَدَمَ ^(١)
كَانَهَا مَرَّ الصَّبَابَا	رَقْشَ فِيهِ بِالْقَلْمَ

ولى من قصيدة أولها :

أَعْيَنِيكِ مِنْهَا يَوْمَ زَالتْ حُمُولُهَا	وَلِيَلَةَ بَدْنَا بِالْأَثْيَرِقِ جَاهَنِي
طَلَى نَشْوَةِ الْأَخْلَامِ وَهَنَارَ سُولُهَا	خَيَالَهُ يُرِينِي أَنَّهَا فَوْقَ مَضْجَعِي
وَقَدْ شَطَّ عَنِي بِالْغُوَرِ مَقِيلُهَا	فَيَأَيْلَةَ مَا كَانَ أَنْعَمَ بَشَهَا
تَبَارَحَ غَاوِيهَا وَغَابَ عَذُولُهَا	وَمَاضِرَنِي مِنْهَا وَقَدْ بَتَ رَاضِيَا
بِبَاطِلِهَا أَنْ بَانَ صُبْحًا بُطُولُهَا	فَلَمَا تَجَلَّ اللَّا يَلِ الصَّبْحِ وَاحْمَتْ
دِيَاجِرُ مُرْخَاهُ عَلَيْنَا سُدُولُهَا	

(١) النَّقَى : الكثيب من الرِّمال .

أَفَقْتُ فَلَمْ يَحْصُلْ عَلَى مِنَ الَّذِي خُدِعْتُ بِهِ إِلَّا ظُنُونٌ أَجِيلُهَا
ولهذه الآيات ، مازراه ولا تقدر على جحده ، من الفصاحة والطلاوة ،
والبدوية التي يوجد طعمها في فصيح كلام القوم ، وإنما أردت الطيف
رسولها ، لأنه مذكّر بها ، ومشوق إليها ، ولأنه مثل لها ومتّرجم ، فجري
مجري الرسول .

وأما البيت الرابع : فعنده أنه لا يُثْلِم متعتي بالطيف ليلاً ولا ينقض لدّي
به بيان بطلانه في الصبح ، لأن الحالين متغائرتان . وقد قال الناس
في الطيف إنه ممتع نافع ، وإن كان زوراً وباطلاً ، لكنهم ما بلغوا هذا
التحقيق ، ولا كشفوا عن العلة لهذا الكشف . فاز يادة فيه على ماتقدمه
غير مجهولة . ومعنى قوله : « فَلَمْ يَحْصُلْ عَلَى إِلَّا ظُنُونٌ أَجِيلُهَا ^(١) »

أن الطيف إذا كان على ما بيناه ، إنما هو تخيل وتشيل ، واعتقادات
وظنون باطلة ، فمع اليقظة لا يحصل في اليد شيء منه ، إلا ذلك الظن الباطل ،
والتخيل الفاسد . وكان عندي أنني ساق إلى وصف الطيف بأنه رسول ،
ومنفرد بهذا المعنى ، لأنني ما كنت وقفت فيها تصريحته ورويته على نظير
له ، إلى أن رأيت وأنا أملئ هذا الكتاب ، لأشجع أنسلي ، فيما رواه أبو عبد الله
المربُّ يابني عن شبيخه قوله :

حَتَّىٰ طَيْفًا أَنَّاكَ بَعْدَ الْمَنَامِ فَتَخَطَّى إِلَيْكَ هَوْلَ الظَّلَامِ

(١) إشارة إلى البيت الآخر من المقطوعة ، انظره في أعلى هذه الصفحة .

شَحَطَ الْحَيَّ مِنْ سُعَادٍ وَمِنَّا رَسُولُهُ بَيْنَنَا مِنَ الْأَخْلَامِ
 بَخِلَتْ بِالسَّلَامِ يَقْضِي وَجَادَتْ بِهَوَاهَا وَنَفَرَهَا فِي النَّهَارِ
 وَوَجَدَتْ أَيْضًا ، فِيهَا اسْتَأْنَتْ تَصْفَحُهُ وَتَأْمَلُهُ لِلْبَحْرِيِّ :
 إِذَا أَرْسَلْتَ طَيفًا يُذَكِّرُنِي الْجَوَى رَدَدَتْ إِلَيْهَا بِالنَّجَاحِ رَسُولُهَا
 وَمَا يُمْكِنُ أَنْ يَكُونَ نَظِيرًا لِذَلِكَ قَوْلُ الْبَحْرِيِّ :
 وَلَيْلَةَ هَوَمْنَا قَلَى الْعِيسِ أَرْسَلْتَ بَطِيفٌ خَيْلٌ يُشَبِّهُ الْحَقَّ بِأَطْلَهُ
 وَهَذَا عَلَى مَا تَرَاهُ نَظِيرٌ لِقَوْلِي :
 « جَاءَ فِي رَسُولِهَا وَمَا شَعَرَتْ بِهِ ^(١) »
 وَكَا قَلَتْ فِي كَثِيرٍ مِنْ كَتْبِي وَأَمَالِي : إِنَّهُ لَا يَبْغِي لِصُنْفِ أَنْ يَقُولَ
 هَذَا الْبَيْتُ مُسْرُوقٌ الْمَعْنَى مِنْ فَلَانَ ، لَأَنَّهُ قَاطَعَ عَلَى مَا لَا يَأْمُنُ هَذَا أَنْ يَكُونَ
 كَذِبًا ، فَرَبِّا تَوَارَدَ فِيهِ مِنْ غَيْرِ قَصْدٍ . وَالْأُولَى أَنْ يَقَالُ : هَذَا نَظِيرُهُ
 وَشَبِيهُهُ . وَهَكَذَا يَجِبُ أَيْضًا لِي طَلِقُ أَحَدُ فِي مَعْنَى مِنَ الْمَعْنَى ، أَنَّهُ مُقْرَدٌ بِهِ ،
 وَسَابِقٌ إِلَيْهِ ، وَإِنْ كَانَ لَمْ يُسْعَ لِهِ نَظِيرٌ ، وَلَا عِثْرَةٌ عَلَى شَبِيهٍ ، لَأَنَّهُ لَا يَأْمُنُ
 أَنْ يَكُونَ فِيهَا لَمْ يَبْلُغْهُ ، وَلَا تَصْلِي بِهِ ، قَدْ وَرَدَ ذَلِكَ الْمَعْنَى ، فَإِنَّ الْخَوَاطِرَ لَا يُضْبِطُ
 وَلَا تَخْصُرُ . وَمِنْ ذَا الَّذِي يَحِيطُ عَلَيْهَا بِكُلِّ مَا قَبِيلَ وَسَطَرَ وَذَكَرَ ؟ وَالْإِنْصَافُ
 أَنْ يَقَالُ فِي مَثَلِ هَذَا الْمَعْنَى : يَنْفَرِدُ بِهِ فَلَانُ عَلَى مَا يَبْلُغُهُ ، وَاتَّصِلْ وَاتَّهِي
 إِلَيْهِ تَصْفَحْ وَتَأْمَلِي .

وَمِنْ نَظَمَ مَعْنَى تَتَجَهُ خَاطِرَهُ ، وَسَعَحَ لَهُ بِهِ هَاجِسَهُ ، لَمْ يَكُنْ يَحْتَذِي فِيهِ

(١) إِشارةٌ إِلَى الْمَعْنَى الْوَارِدِ فِي الْبَيْتِ الْأُولَى مِنَ الْمُقْطُوعَةِ الْآخِرَةِ .

مثال غيره ، فهو في الحقيقة كالسابق إليه وإن كان قد وجده نظيرًا مأعرفه ولا بلغه ، يسلب الفضيلة من اعتمد على معنى سبق إليه غيره ، فنظمه وأدخله في كلامه ، لأنه لم يحظ بفضيلة السبق التي يقتضيها نتيجة الفكر ، وثمرة الخاطر . ومن أخرج إليه خاطره بعض المعانى من غير أن يكون سمعه ولا قرأه ولا احتذاه ، فله فضل الاستخراج والاستنباط الدالين على قوة الطبع ، وصحة الفكر ، وما عليه بعد ذلك أن يكون قد تقدمه متقدم فيه ، فوقع التوارد فيه من غير عمد ، فإن تجويز ذلك لا يساُب مدحه ، ولا ينْقص فضلاً .

ولى أيضاً وهو ابتداء قصيدة :

عَجِّلْنَا مِنْ خَيالِكِ كِيفْ زَارَا
عَلَى عَجَّلِ وَمَا أَمِنَ الْخِدَارَا
أَنِّي وَالشَّوْقُ جَاذِبُهُ إِلَيْنَا
وَمَنْ تَبِعَ الْهَوَى رَكِبَ الْخِطَارَا
تَلَاقِ ضَاعَ مَا أَغْنَى فَتَبِيلَا
سَوَى أَنْ هَاجَ لِقَابِ ادْكَارَا

ولى من قطعة مفردة :

وَزَائِرٌ زَارَنِي وَهُنَّا يُغَالِطُنِي وَلَوْلَدِسْتُ بِيَاضَ الصَّبْحِ لَمْ يَزُرْ
تَئَتْ لَهُ وَسْتُورُ الْآيَاتِي مُسْبَلَةَ
بَيْنِي وَبَيْنَ يَقِينِي وَالْكَرَى سُكْرِي
وَلَوْ أَرَادَ حِدَاعِي غَيْرَ ذِي وَسَنِ لَكَانَ مِنْ نَيْلٍ مَا يَبْغِي عَلَى غَرَرِ

المبحث الثاني : عجيب المعنى ، لأنَّ تخييل الطيف إنما يتم باللهم ، حَجَرَ
بين اليقينِ وبين النَّاَمِ ، فاءً تقدِّم مالاً حقيقة له .

ولى أيضاً من قطعة :

أَتَرَى عنْ حُسْنِ رَأْيٍ زَارَنَا طِيفُكَ وَهُنَّا
لَمْ يُفْدِنَا وَطَرِيفٌ خَادِعٌ يُوجَبُ مَنَّا
إِنَّمَا الطِيفُ كَلْفُظٌ فَارغٌ مَا فِيهِ مَعْنَى
كَمْ رَأَيْنَا باطِلاً نَفْسَ كَرَبَّاً مِنْ مَعْنَى

ما وجدتُ إلى الآنَ تشبيه الطيف الذي لا يقتضى له ولا يحصل ، باللفظ
الخالي من معنى ، العاطل من غرض ، وإنْ كان قد قيل قدِيمًا وحديثًا : إنَّ
الطيف باطل وزور ومحال ، ولا عائدة له ، فما شبهوه هكذا باللفظ الفارغ ،
هذا التشبيه هو الغريب .

ولى وهو ابتداء قصيدة :

ما زُرْتَ إِلَّا خِدَاعًا أَيْهَا السَّارِي
مُمْكِنَةً قَضَيْتَ وَمَا قَضَيْتُ أَوْ طَارِي
أَئِي يَزُورُ عَلَى الظَّلْمَاءِ مِنْ شَحَطٍ
مَنْ كَانَ صُبْحًا وَقُرْبًا غَيْرَ زَوَارٍ
لَامْتُعَةً لِي بِمَنْ تَادَمَتْ صُورَتَهُ
لَمَا أَتَنَى بِهَا فِي اللَّيْلِ أَفْكَارِي
وَلَوْ أَرَذْتَ بِي الإِسْعَافَ زُرْتَ وَمَا
دَرِي الدُّجَى لِلْكَرَى مَا بَيْنَ أَشْفَارِي^(١)

(١) الأشفار : جمع شفر بالضم : وهو حروف الأجهاف التي ينبع منها المدب .

ولَيْسَ يَنْفَعُ مِنْ يُضْحِي بِمُجْدِبَةِ أَنْ بَاتَ مَا بَيْنَ جَنَّاتٍ وَأَهْلَارٍ
هذا من الابتداءات المشار إليها فصاحةً وبلاغةً . وقولي : مازرتَ
إلا خداعاً يحتمل وجهين :

أحددهما : أن يكون المعنى مازرت حقيقة ، لكنك خادعت خداعاً .
ويحتمل أيضاً أن أريد : مازرت إلا للخداع ، كما تقول ماقصدتك إلا
إكراماً لك ، أى للإكرام . وكيف لا يعجب من تارك الزيارة في الصبح
مع قرب ، إذا زار في الظلماء من بعد . ولهذا الكلام ماله في الاطراد
والاستقامة ، وحسن المقابلة .

وإضافة الطيف إلى الفكر . قد تقدم الكلام على نظيرها مستوفى .
وإذا كان من يُضْحِي بالأرض المجدبة المغفرة ، لا ينفعه أن كان بائتاً
بين الرياض الناصرة ، والجنان الزاهرة ، فأولى أن لا ينفع من خليل له
الطيف إلا انفاس والاستقامة ، ثم أصبح عارية من ذلك كله ، فارغاً من جعبه .

ولي من قصيدة أو لها :

الآلَيْتَ عَيْشًا ماضِيًّا عَنْكِ بِالْحَمَىٰ وَإِنْ لَمْ يَعْدْ ماضٌ عَلَيْكِ يَعُودُ
وَيَا زَوْرَنَا لَمَّا سَمَحْتَ بِزَوْرَةٍ سَمَحْتَ بِهَا وَهُنَّا وَنَحْنُ هُجُودُ
عَلَى غَفْلَةٍ جَاءَ الْكَرَى بِاعْثَانًا لَنَا بلا موْعِدٍ وَالزَّائِرُونَ هُمُودُ
فِيَامِرُونَ حَبَّا بِالْطَّارِقِ بَعْدَ هَجْعَةٍ تَقْرَئُ بِهِ الْأَحْلَامُ وَهُوَ بَعِيدُ

وَعَلِمْنَى كَيْفَ الْمَحَالِ يُقَارِبُهُ وَأَئِنِ التَّفَاهُ وَالْأَفَاهُ كَثُودُ
وَمَا نَحْنُ إِلَّا فِي إِسْرَارٍ عَدَامَةٍ وَعِنْدَ كَرَانَى أَنْ ذَلِكَ وُجُودُ
قُولِى : تقريره الأحلام وهو بعيد : له شهادة من نفسه على فضله ، غير
مردودة ولا بمحودة . وإنما أضفت إلى الـكري أن العدم الذي نحن فيه
وجود ، لأن السبب في هذا الاعتقاد الفاسد ، والظن الباطل .

ولى وهي قطعة مفردة :

أَلْمَتْ بِنَا بَعْدَ الْهَدُوءِ وَرُبَّمَا
فِي الْأَلَّاكَ مِنْ يَوْمٍ شَحَطْتَ بِبَيَاضِهِ
وَمِنْ مُغْرَمٍ يَقْلِي لِلْذِيدَ اِنْتِبَاهِهِ
وَمِنْ مُسْعِفٍ جُنْحا بِطِيبِ عَنَاقِهِ
فَإِنْ لَمْ يَكُنْ حَقًا فَقَدْ بَاتَ مُغْرَمٌ
فُقَبَّ بِهِ مِنْ بَاذِلٍ لِي حَلَاهُ
وَمِنْ مُلْتَقَى عَذْبِ الْمَذَاقِ وَتَحْمِتهُ
وَلَا عَيْبَ فِيهِ غَيْرَ قُرْبِ زَوَالِهِ

لهذه الأبيات فوق ماشاء المقترح المشط من حسن تصرف ، وتقلب
في أوصاف الطيف ، وخروج من معنى إلى غيره ، بكلام جزل سهل .

وقد تضمن البيت الذي أوله :

فُقَبَّ بِهِ مِنْ بَاذِلٍ لِي حَلَاهُ

والبيت الذي يليه ، معنى في الطيف غريباً ، ما نظرت بنظير له إلى الآن في الشعر المدون ، لأن بلوغ الغاية في المتعة بطيف الخيال ، لا يكون إلا مباحاً ، لا إثم فيه ولا عار ، وقد يكون حراماً وإنما وعاراً ، لو كان في اليقظة ، وعلى الحقيقة . وقد تكرر هذا المعنى في شعرى .

فإن اشتبه سبق البحترى إلى هذا المعنى في قوله :

هَا نَلْتَقِي إِلَّا عَلَى حُلْمٍ هَاجِدٍ يُحْلِلُ لَنَا جَدْوَاكِ وَهِيَ حَرَامٌ

فالجواب : أن البحترى إنما عنى أن النوم يبدل لنا جدواك ، بعد أن كانت منوعة ، فعبر عن البذل بالتحليل ، وعن المنع بالتحريم ، وذلك مليح منه ، ولم يرد التحليل والتحريم الحقيقيين ، وإنما أراد أنا لا نلتقي إلا في النوم الذي يبدل من الالقاء ما كان منوعاً ، فكانه أحل حراماً .

فإن قيل يجوز أن يكون عنى ماذ كرته ، وعنى أيضاً أن المتعة في النوم يكون حلالاً ، وإن كان في اليقظة حراماً ، فلنا : الجدوى هي العطية ، والعطاء لا يحرم على الحقيقة في اليقظة ويحل في النوم ، والمتعة بالطيف هي التي لها هذه الصفة . فإذا قيل إلا أراد بالجداوى ضروب المتعة والتلذذ ؟ فلنا هذا عدول عن ظاهر الكلام بغير ضرورة ، ولو أن مقصها أقسم على أن البحترى ماحضر بياله ما صررتنا نحن به في الأبيات الميمية ، وإنما عنى ماحكينا ، لكن صادقاً .

فاما قول الفرزدق :

إِذَا مَاتَتْ عَنِ حَيِّيْتُ وَإِنْ دَتْ فَأَبْعَدُ مِنْ بَيْضِ الْأُنُوقِ كَلَامُهَا
وَتَمْنَعُ عَيْنِي وَهِيَ يَقْظَى حَلَاهَا وَيُبَذَّلُ لِي عَنِ النَّامِ حَرَامُهَا
فليس له بالمعنى الذي اختصصت به شبهه ، وإن كان قد أتي بلفظ التحرير والتخليل ، وليس المعمول على الألفاظ ، وإنما المعمول على المعانى .
وإنما أراد الفرزدق أنها تمنع عينه وهي يقظى ، ما هو حلال من النظر إليها ، والتسليم عليها ، وتبدل له عند منامه ما هو حرام من المتع التام بها ، وهذا خند ما قصدته أنا من المعنى ، لأن الفرزدق قرن التخليل باليقظة ، والتحرير بالنمam ، وأنا جعلت التخليل في النوم ، والتحرير في اليقظة .
وكل منا قصد مقاصدا صحيحا ، لأنى أردت أن المتع الذى يلتئم في النوم حلالا ، لو كان في اليقظة لكان حراما .

والفرزدق أراد به أنها تمنع في اليقظة من كلام وما أشبهه حلالا ، وتبدل له عند النام ما هو حرام . وإنما يريد أنه حرام لو كان في اليقظة ، فإن ما يكون في النوم لا يكون حراما . فبيان بهذا الشرح خلاف المعنى الذى قصدته لمعنى الفرزدق .

ولي من قصيدة أو لها :

مَرَتْ بِنَا بِمُصَلِّ الْحَيْفِ سَانِحةً

كَمْ مَرَّةٌ زُرْتُنَا وَهُنَّا عَلَى تَجَلِّ سَرَيْتُ فِيهَا وَمَا أَشَرَّتْ مَطَايِّكِ
حَتَّى التَّقَيْنَا عَلَى رَغْمِ الرَّفَادِ وَمَا ذَاكَ اللَّقا، سِوَى وَسْوَاسِ ذَكْرِكِ

ولى من قصيدة أولها :

هـ الـ دـارـ مـوقـفـ عـلـيـكـ هـوـاـها

زـارـتـ وـسـادـيـ فـيـ الـظـلـامـ خـرـيـدـةـ
 أـرـاـهاـ الـكـرـىـ عـيـنـيـ وـأـسـتـ أـرـاـهاـ
 تـمـانـعـ صـبـحـاـ أـنـ أـرـاـهاـ بـنـاظـرـيـ
 وـتـبـذـلـ جـنـحاـ أـنـ أـقـبـلـ فـاـهاـ
 وـلـاـ عـرـفـ الـعـدـالـ كـيـفـ سـرـاـهاـ
 فـمـنـ ذـاـ الـذـيـ مـنـ غـيـرـ وـغـدـيـ أـتـيـ بـهـ
 وـقـالـواـ عـسـاهـاـ بـعـدـ زـوـرـةـ باـطـلـ
 تـزـورـ بلاـ رـيـبـ فـقـلـتـ عـسـاهـاـ

معنى البيت الأول : أن الكري خيل لى أن أراها يعني ، وإن كنت
 لا أراها على الحقيقة .

ولى من قصيدة أولها :

دعـ المـوـىـ يـتـبعـهـ الـأـخـرـقـ

لاـ طـرـقـ الطـيـفـ الـذـيـ كـانـ مـنـ
 أـكـبـرـ هـمـيـ أـنـهـ يـطـرـقـ
 حـدـثـ قـابـيـ وـهـوـ طـوعـ المـوـىـ
 مـحـدـثـ فـيـ النـوـمـ لـاـ يـصـدـقـ
 وـكـيـفـ لـوـلـاـ أـنـهـ باـطـلـ
 يـسـرـىـ وـمـاـ سـارـتـ الـأـيـنـقـ
 زـارـ وـمـازـارـ سـوـىـ ذـكـوـرـ
 وـبـيـنـنـاـ دـاـوـيـةـ سـمـلـقـ

إنما قلت : لا طرق الطيف ، لأنني بنيت هذه القصيدة على ذم اتباع
 الموى ، والانحراف في سلكه . ومن عزف عن الموى والانحراف

في سلكه ، لا فائدة له في طرائق الطيف . وإنما جعلتُ هذا المحدث لا يصدق في النوم خاصة^(١) ، لأن النوم هو السبب في كذب ظنون النائم ، وفساد أحاديشه لنفسه واعتقاداته .

وقد تقدم أن قولي «زار وما زار سوى ذكره» : أجدود ، وأشد تحقيقاً من كل نظير له في هذا المعنى .

ولى في هذا المعنى من قصيدة أولها :

لِمَنْ ضَرَّمْ هَلَى الْيَفَاعَ تَعَلَّقَا
وَقَدْ زَارَنِي بَعْدَ الْمَدُوْخِيَالَهُ فَجَدَدَ مِنْ شَوْقِي وَمَا كَانَ أَخْلَقَا
فِلَلَهُ مَرْدُودُ إِلَى طَرُوقَهُ وَمَا كَنْتُ أَرْجُو مِنْهُ بِاللَّيْلِ مَطْرَقاً
ولى من قصيدة أولها :

قَدْ كَانَ يُدْرِكُ عِنْدَ كُنَّ السُّولُ
وَطَرَقَنَى وَهُنَّا بِأَجْوَازِ الرُّبَّا وَطَرُوقُهُنَّ هَلَى النَّوَى تَخْيِيلُ
يَا لَيْتَ زَارَنَا بِفَاحِمَةِ الدُّجَى لَمْ يَأْتِ إِلَّا وَالصَّبَاحُ رَسُولُ
فَقَلِيلُهُ وَضَحَّ الصُّبْحَى مُسْتَكْثِرٌ وَكَثِيرُهُ غَبَشَ الظَّلَامَ قَلِيلُ
مَاعَابَهُ ، وَبِهِ السُّرُورُ ، زَوَالُهُ فَجَمِيعُ مَاسِرَ الْقُلُوبَ يَزُولُ

هذه الأبيات لا فقر بها إلى تفسير وتنبيه ، كما لا حاجة بها إلى مدح وإطراء .

ولى من قصيدة أولها :

مَا قَرَأَ بُوا إِلَّا لَبَيْنِ نُوْقا

(١) في الأصل : حاضرة ، ولا معنى لها هنا .

طَرَقَ الْحَيَالُ وَلَمْ يَكُنْ قَبْلَ النُّوَى
هَذَا الْحَيَالُ لَنَا هُنَاكَ طَرُوقًا
لَمْ أَدْرِ مَا هُوَ غَيْرُ أَنْ طَرُوقَهُ
أَغْرَى بِشَائِقَةِ الْقُلُوبِ مُشْوِقاً
وَلِيَ مِنْ قُصيدةٍ أُولُها :

وَزَوْرٌ زَارَنَا وَاللَّيلُ دَاجٌ
وَقَدْ مَلَأَ الْكَرَى مِنَ الْعَيْوَنَا
يُرِينِي أَنَّهُ ثَانٍ وِسَادِي
مُضَاجَعَةٌ وَزَوْرٌ مَا يُرِينَا
نَعِمْتُ بِبَاطِلٍ وَيَوْدُ قَلْبِي
وَدَادًا لَوْ يَكُونُ لَنَا يَقِيناً
وَلِيَ مِنْ قُصيدةٍ أُولُها :

إِنَّهُ مَلِي رَمَلِ الْعَقِيقِ خِيمَاهُ
نَبَّا فَهَا نَأْمَلُ فِي لِقَائِنَا
ذَاتَ الثَّنَاءِ الْفُرُّ إِلَّا الْحَمَاهُ
أَهْوَى وَإِنْ كَانَ لَنَا تَعِلَّةٌ
طَيْفًا يُوَافِي مِنْكُمُ مُسْلِمًا
يَبْذُلُ لِي مِنْ بَعْدِ ماضِنَّ بِهِ
وَشَافِعِي النَّوْمُ : الْعِذَارَ وَالْفَمَا
وَجَادَ حِلَّا وَالدُّجَى شِعَارُنَا
بِنَائِلِ لَوْ كَانَ صُبْحًا حَرَّمَا
وَزَوْرَةَ يُزْيِحُ فِيهَا التَّهَمَا
حُبُّ رِبَّهَا إِلَمَامَةَ مَأْمُونَةَ
وَجَدْتُ فِيهَا كُلَّ مَا أَحْبَبْتُهُ
لِكِنَّ وِجْدَانِي يُضَاهِي الْعَدَمَا
مَاعَلِمْتُ نَفْسِي بِمَاذَا حُمِيتَ
وَلَا الَّذِي جَادَ عَلَيْهَا عَلِيَا

معنى البيت الأول : أن التباعد يتناقث أسبابه ، وأرجحت أبوابه ،

إما بعد المسافات ، أو قوة الوشایات ، حتى مانتعلم في تلاقٍ إلا في النوم ،
وهذه غاية اليأس من اللقاء والمجتمع .

ولقولي : « وشافعى النوم » من البلاغة ، مالا أخشى جحده ورده ، ولما كان الشافع يقرب بعيد الحاجة ، ويُظفر بنجاحها ، وكان النوم كذلك في طيف الخيال ، ولا سبب له سواه ، سُمّي النوم شافعا في الزيارة ، وبلوغ المراد منها .

وقولى « وجاد حِلًا والدَّجَى شعارنا » : نظير قوله : « ثُقْبَتْ بِهِ مِنْ بَادِلٍ لِي حَلَالَهُ وَفَادِبِذَاكَ الْبَذَلِ مِنْهُ حَرَامَهُ^(١) »

وقد تقدم بيانه ، وأنه غريب لا أعرف سابقاً إليه . ومعنى قوله :
حَبَّ بَهَا إِلْمَامَةً مَأْمُونَةً

يُحتمل أن الإثم والعار فيها مأمونان ، ويُحتمل أنها غير متهمة ولا مستراب بها . وأكَدت ذلك بقولي :

وزَرَةُ إِعْلَمٍ فِيهَا التَّهْمَاءُ

ومعنى البيت الأخير: أن العلم مفقود في طيف الخيال ، من طرقه الخيال ،
ومن ذلك الخيال مثال له ، ومتصور به .

ولى وهو ابتداء قصيدة :

بَلَغْنَا لَيْلَةَ الشَّفَّابِ (٢) عِجَالًا مُنْيَةَ الْقُلُوبِ
تَلَاقَيْنَا كَمَا شِئْنَا بِلَا عِلْمٍ مِنَ الرَّأْيِ

(١) تقدم هذا البيت في صفحة ٩٣ .

(٢) الشعب : مكان بالبادية بين المدينة والشام

وَطِيفٌ طافَ مِنْ ظُلْمِي
جَفَتْ عَيْنِي وَجَاءَتْ فِي
وَزَالَتْ غَبَّةً مَا زَارَتْ
وَوَلَّتْ لَمْ تُنِلْ شَيْئًا

دُجَى اللَّيْلِ إِلَى قَلْبِي
وَمَا قُلْتُ لَهَا حَسْبِي

مِنَ الْفَنْمِ سِوَى حُجَّيْ

نظير قولى : « جفت عيني ... البيت » قولى : « موء قلبى على ناظرى ». .

وقولى :

وَمَا ضَرَّ مَنْ يَأْبَى زِيَارَةً مُقْلَتَى

وَقَدْ تَقْدَمَ ذَلِكَ .

ولى وهى قطعة مفردة :

وَزَوْرٌ زَارَنِي وَاللَّيْلُ دَاجٌ
سَقَانِي رِيقَهُ مَنْ كُنْتُ دَهْرِي
وَأَوْلَى فَوْقَ مَا أَهْوَاهُ مِنْهُ
وَأَرْخَصَ قُرْبَهُ بِاللَّيْلِ مَنْ لَوْ
نَعِمْنَا بِالْحَبِيبِ دُجَى فَلَمَّا
فَإِنْ يَكُ بَاطِلًا فَسَقِيمُ حُبِّ
تَلَاقٍ لَا يَخَافُ وَلَا يُبَالِي
وَلَوْ أَنَّ الصَّبَاحَ يُطِيعُ أَمْرِي

فَعَلَّمِي بِبَاطِلِهِ وَوَلَى
مَذُودًا عَنْ حَرَاشِفِهِ مُحَلَّا^(١)
وَمَا يَذْرِي بِمَا أَعْطَى وَأَوْلَى
سَأَلْنَا قَرْبَهُ فِي الصَّبَاحِ أَغْلَى
تَوَلَّى وَاضْمَحَّلَ لَنَا اضْمَحَّلًا
أَفَاقَ بِهِ قَلِيلًا أَوْ أَبْلَى
بِمَا أَوْحَى بِهِ وَعَلَيْهِ دَلَّا
لَمَّا كَشَفَ الظَّلَامَ وَلَا تَجَلَّى

(١) أصله محلّ ، بالضم ، اسم مفعول من حلّه عن الورد : أي منه .

إنما قلت إنه تلاق لا يحاف لمن دل عليه ووشى به ، لأنه لاقدرة
لأحد ...^(١)

[ولِي مِنْ أَبْيَاتٍ ...^(٢)] : نَأْيَا فَنْ دُونَ الْلَقَاءِ تَنَافِفُ

حَلَّتْ بِنَا وَاللَّيْلُ مُرْخِي سُدُولَهُ فَأَلَّا وَضَوَّهُ الصُّبْحُ فِي الْعَيْنِ مُشْرِقُ
وَدَدَتْ مِطَالًا عَنْ لِقَاءِ مُصَحَّحٍ وَأَوْسَعَنَا مِنْكِ الْلَقَاءِ الْمُلَزِّقُ
فَأَخْبِبْ بِهِ مِنْ طَارِقٍ بَعْدَ هَذَا هَلِّ نَشَوَّهُ الْأَحْلَامِ لَوْ كَانَ يَصْدُقُ
وَلَمَّا تَفَرَّقْنَا وَلَمْ يَكُ بَيْنَنَا هُنَالِكَ لَوْلَا النَّوْمُ إِلَّا التَّفَرَّقُ
تَطَابِرَ وَصَلَّ غَرَّنَا فَكَاهُ رِدَاهُ سَاحِقٌ أَوْ مُلَاهُ مُشْبِرَقُ

إن حكم حاكم : ما في وصف من أوصاف الطيف يفضل ويقدم ؟
فايتعدي هذه الأبيات ، والتي تقدمتها بلا فضل . ومعنى « لو كان يصدق »:
المعنى لصدقه ، والتلهف عليه ؛ وليس بشرط ، لأنني أحبه على كل حال ،
صدق أو كذب ، وإنما تمنيت صدقه ، وجرى مجرى قول البحترى :

فَتَبَسَّمَتْ عَنْ وَاضْحَا تِ لَوْلِثِمَنَ عِذَابٍ
وَمَا شَرَطَ ، بَلْ تَمَنَّى وَتَلَمَّفَ . وقد شرحت هذا المنهج في بعض كلامي ،
وأوضحته واستوفيته ، ورددت على من اشتبه عليه .
وقولى : . . . وَلَمْ يَكُ بَيْنَنَا هُنَالِكَ لَوْلَا النَّوْمُ إِلَّا التَّفَرَّقُ

(١) كذلك في الأصل . وبقية العبارة ساقطة .

(٢) وضعنا هذا الابتداء ، قياساً على قول المؤلف في نشرته الشهيرة .

معناه : ما كنا على الحقيقة إلا مفترقين غير مجتمعين . وإنما خَيَلَ النومُ
الاجتماع غُروراً وزُوراً ، فما حصلنا بعده إلا على ما كنا في الحقيقة عليه .
وهذا لطيف مليح .

ولى وهي قطعة مفردة :

فَدَيْتُهُ مِنْ زَارِ زَارِي وَاللَّيلُ مُسَوَّدٌ الْجَلَابِيبِ
زَارَ وَفِيهِ كُلُّ مَا نَبْغَى فِي النَّاسِ مِنْ حُسْنٍ وَمِنْ طَيْبٍ
وَلَمْ يَصِرْ هَا أَنَّهَا زَوْرَةُ لِعَازِبٍ الْأَرَاءِ مَكْذُوبٍ
بِالْأَطْلَةِ رَوَّتْ لَنَا غُلَةَ وَالْحَقُّ لَمْ يَأْتِ بِمَطْلُوبٍ
لَوْلَا أَكْرَى مَا جَادَ لِي بِالْمَنَى مُعْشَقٌ يَعْشَقُ تَعْذِيبِي
وَكِفَ لَا هُوَ أَذِيدَ الْكَرَى مُحَبِّبًا بَجَاءَ بِمَحْبُوبِ

ولى وهي قطعة مفردة :

أَشَرَتِ إِلَيْنَا بِالْبَنَانِ الْمُقْمَعِ فَلَوْ شِئْتِ لَمَّا أَزْمَعَ الْحَيَّ رَوْحَةَ
وَقَدْ بَانَ كُلُّ الْبَيْنِ غَيْرَ مُوَدَّعٍ فَا بَانَ مَاضِي بَانَ وَهُوَ مُوَدَّعٌ
فِيمَ لَمْ تَرْوِي الْقَلْبَ سَاعَةً مَضْجَعِي وَصَدَّكِ قَوْمٌ عَنْ زِيَارَةِ مُقْلَتِي
فَمَا ضَرَّ مِنْ وَصْلٍ وَلَا أَحَدٌ مَعِي وَحَادَرْتِ وَصَلَّى يَعْرِفُ النَّاسُ حَالَهُ

قد تقدم نظائر قوله :

وَصَدَّكِ قَوْمٌ عَنْ زِيَارَةِ مَضْجَعِي ^(١)

(١) الصواب : مقلتي ; وقد مر قريباً .

من شعري، فإني^(١) كرته ، وقد بنت سبقي إليه ، والوصل الذي يعرفه الناس ، ويسخرون به إن كان محذورا ، فوصل الطيف غير محذور . ومعنى « ولا أحد معى » : أى لا يشعري ، ولا يعرف حالى .

ولى وهى قطعة مفردة :

مَنْ زَارَهُ مَا أَجْبَنَهُ! مَازَارَ إِلَّا فِي سِنَةٍ
 عَنَّ لَنَا فِي غَلَسٍ فَلَا عَدِمْنَا عَنَّهُ
 ذُو دَدَنِ وَإِنَّا نَعْشَقُ مِنْهُ دَدَنَهُ
 يَهْجُرُنِي مُجاوِرًا يُسْمِعُ قَوْلِي أَذْنَهُ
 حَتَّى إِذَا حَلَ النَّوْرِي
 لَمْ يَأْتِ إِلَّا فِي دُجَى
 وَزَارَنِي فِي وَطَنِي
 ثُمَّ أَطَابَ وَسَنِي
 أَبْدَلَنِي هِجْرَانَهُ
 بِاطِلَةً لَكَثِيرَهُ
 مَا أَحْسَنَ النَّضَرَ عَلَى
 تَكُونُ مِنْهُ دَيْدَنَهُ
 فَلَيَتَمَّ زِيَارَةً
 مَا بَعَثَ الْوَاثِي إِلَى مَنْ نَحْنُ فِيهِ ظِنَنَهُ

وَلَا رَأَى ذُو فَطِينَ إِلَيْهِ يَوْمًا فِطَنَةً
 فَبِتُّ لَيْلِي كُلَّهُ أَضْمَنْ مِنْهُ غُصَّنَةً
 وَأَلْئِمْ الصَّدْغَ الَّذِي عَقَرَ بَهُ وَزَرَفَنَةً
 لَوْلَا الدُّجَى يَشْفَعُ لِي لَا تَقِيتُ مِنَّهُ
 بَحَادَ بِهِ مُسْتَرَّ خَاصًا وَمَا نَقَدْتُ مِنَّهُ
 فِي سَاعَةٍ كَلَّهَا لَذَادَةً أَلْفَ سَنَةٍ
 وَاصْلَ فِيهَا سَكَنٌ بَعْدَ فِرَاقٍ سَكَنَهُ

السُّنة : ابتداء النوم . ويحتمل قولي : « مازار إلا في سِنَة » وجهين :
 أحدهما : أنه مazar لجنه وشدة خوفه ، إلا زيارة هي تخيل ، وغير تحقيق .
 والوجه الآخر : أنه يريد أنه مazar إلا في الليل ، فعبر عن الليل بما
 لا يكون في الأغلب إلا فيه ، والليل يستتر بظلمته الجبان الخائف . فاما
 الدَّدَن : فهو اللعب ، والمحبوب يهوى حِدَّه ولعبه وجميع أحواله .
 والبيت الذي أوله : « لم يأت إلا في دُجَى » : نظير البيت الأول ، ومفسر له .
 وقولي : « بِزُورَةٍ مُؤْتَنَهُ » : قد مضى تفسير نظيره . والدين : العادة .
 وقد تقدمت نظائر قولي : « ما بَعْثَ الْوَاثِي » ، والبيت الذي يليه . ومن
 عَرَّ عن معنى متداول ، بأحسن عبارة وأبلغها ، فكانه مبتديه ومشيه ، وما
 يضره أن سُبِّقَ إِلَيْهِ ، إذا كان منفردًا بإحسان العبارة عنه . حفظ العبارة

في الشعر ، أقوى من حظ المغنى .

ولى وهي قطعة مفردة :

إِنْ كَانَ طَيْفُكِ زَارَنَا فَلَقَدْ تَجَنَّبَنَا طَوِيلًا
 عَلَّتْمُ بِطْرُوقِكُمْ وَمَحَالِكُمْ قَلْبًا عَلَيْلًا
 مَا كَانَ يَرْضَى بِالسَّكِّ يَرِدْ بَعْدَكُمْ رَضْيَ الْقَلِيلًا
 هُوَ الْفَدَاءَ كَفَاقِدٌ أَخْبَابَهُ نَذَبَ الطَّلُولًا
 أَوْجَدْتُمُوهُ إِلَى الْأَمَانِ نِي في لِقَائِكُمُ السَّيِّلًا

معنى «رضي القليل»: أنه قنوع بالطيف الذي لاحقيقة له ، وتشبيه الطيف بطول الديار ، ورسوم الأحباب ، في غاية الحسن والإضافة .

قد يتحمل البيت الأخير وجهين . أحدهما : أن زيارة الطيف إنما هي آمانى وأحاديث النفس ، فأوجدتكم سبيلا إلى هذه الآمانى .

والوجه الآخر: أنكم أوجدتكم بالطيف ، السبيل إلى تمني لقاءكم الحقيق ، وأذ كرتونوه ذلك ، وشوّقتموه إليه . ومن مليح مانظم في قناعة المحب بالطيف ، على قوله وزناته ، قول الحسين بن الصحاح الخليع :

وَمَا فِي تَعَرُّضِ طَيْفِ الْخِيَا لِ وَالْمَجْرُ حَظْكَ يَمَنْ تَحِبُّ؟
 غَنَاءَ قَلِيلٌ وَلَكِنِّي تَعْنِيهُ بِقَنْوَعٍ^(١) الْمُحِبُّ

ولى أيضا وهي قطعة مفردة :

(١) القنوع : ذات السؤال أو السؤال .

أَمَّا خَيْالُ مِنْ أَمِيمَةَ طَارِقٍ
وَمِنْ دُونِ مَسْرَاهُ اللَّوَى وَالْأَبَارِقُ
أَمَّا بِنَا لَمْ نَدْرِ كَيْفَ لِسَامَهُ
وَقَدْ طَالَ مَا عَاقَتْهُ عَنَّا الْعَوَائِقُ
ذَلِكَ مَا أَوْلَى الْكَرَى فِي دُجُونَهُ
جَفَّتْهَا الدَّرَارِي طُلُعًا وَالْبَوَارِقُ
وَمَا هُوَ إِلَّا غَايَةُ الرُّؤُرِ صَادِقُ
نَعِمَنا بِهِ حَتَّى كَانَ لِقَاءُنَا
فِيَازِئِي فِي اللَّيْلِ إِلَّا وَصُبْخَنَا
تَسْلُئُ عَائِنَا مِنْهُ يَبْيَضُ دَوَالِقُ
وَكَيْفَ ارْتَضَيْتَ اللَّيْلَ وَاللَّيْلَ مُلْدِسٌ

يُخَيِّلُ لِي قُرْبًا وَأَنْتَ بِسَجْوَةٍ وَيُوْهُنِي وَضَلًاً وَأَنْتَ مُفَارِقٌ
تَضَلُّ بِهِ عَنَّا وَعَنْكَ الْحَقَائِقُ
فضل هذه الأبيات واستواء نسجها، مما يشهد به الصاحب، والعدو الملاقت.

ومعنى البيت الرابع ، أن التخييل قوى واشتد ، حتى لم يلْكَ بينه وبين الحق الصحيح فرق ، فلذلك تضاعفت المُتعة ، وتکاثفت النعمة والملاذَة . ولِي أيضًا ذم الطيف :

(1)

وقد قال الكثيرون:

فَلَمَّا انتَبَهَتْ وَجَدَتْ الْحَيَا لَأَمَانِي نَفْسِي وَأُفْكَارَهَا

(١) سقط من المخطوط ما أورده المؤلف في هذا الموضوع .

(٢) انظر الموازنة للأمدى لوحدة رقم ١٣٤ مصورة دار الكتب المصرية (رقم

١٢٦٦ - المزء الثاني .

قال الآمدي : أى وجدت الخيال أنا الحال له بأمانى نفسى . وهذا ذلك المعنى بعينه .

قال : وقد أورد أبو تمام المعنى على حذو ما قاله جران العود^(١) سواء ، فقال : استزارتني فكري في النام فأتاني في حقيقة واكتتام فذكر أن فكرته أنته بالطيف زائرا ، كما قال جران العود : « أراك به حديث نفسك »

قال : ووصل أبو تمام بيته بأن قال :

اللَّيَالِي أَحْفَى يَقْلُبِي إِذَا مَا جَرَحَتْهُ النُّوَى مِنَ الْأَيَامِ^(٢)
يَاهْ لَذَّةً^(٣) تَنَزَّهَتِ الْأَرْضُ وَاحْفَرَ فِيهَا سِرًا مِنَ الْأَجْسَامِ
مَجْلِسٌ لَمْ يَكُنْ لَنَا فِيهِ عَيْبٌ غَيْرَ أَنَا فِي دَعْوَةِ الْأَخْلَامِ
ثم قال الآمدي : وليس لهذه الأبيات حلاوة ، ولا عليها طلاوة .

قال سيدنا آدم الله علوه :

وأقول : إن لبيتى أبي تمام إحسانا لا يُمحى ، وفضلا لا ينكر ، ومن مدحها فلم يضع المدح إلا في موضعه .

وقول الآمدي : إنه أخذ معناه من قول جران العود^(٤)

(١) من أول هذا الكلام إلى قوله في ص ١٠٧ « وليس بهذه الأبيات حلاوة ولا عليها طلاوة » وارد بالموازنة لوحة ١٣٥، ١٣٤ .

(٢) الموازنة : زورة (لوحة رقم ١٣٥) ١٢٦٦٢ .

(٣) تقدمت الإشارة إلى هذه الأبيات ص ٢١ من هذا الكتاب .

(٤) سقط من المخطوطة ، ما أورده المؤلف في هذا الموضع .

الجساد والجسد : الزعفران . والنوب المحسد : المصبوع بالزعفران .
والبيت الثالث لطيف المعنى ، لأن العجب كله في اهتداء زائر ليلا وهو
لا يهتدى نهارا .

والبيت الرابع فيه مأزاه من رشاقة وملاحة .
ومعنى البيت الخامس : أن العَدَم الذي كان في يدي قبل النوم : هو
الذى معى بعده ، فلا يَدْلُكَ عَلَىَّ ، وأنا كَا كَنْتَ .
والبيت الأخير قد تقدمت له نظائر في شعرى ، وزيارة القلب :
هي التخييل والتمثيل ، وزيارة العين : هي الحقيقة الصادقة .

ولى من قطعة مفردة :

أَيَّازَ أَيْرِاً بِاللَّيْلِ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَسْرِي
وَهَلْ زَأَرِاً بِاللَّيْلِ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَسْرِي؟

وَيَامْشِبِها بِالفَجْرِ صَسْوَه جَبِينِه
أَنْ لِي قَلِيلًا كَيْفَ رُوَغْتَ بِالفَجْرِ
تَجُودُ عَلَيْنَا وَالْمَاعَذِيرُ جَحَّةُ وَتَبْخَلُ بِالْجَدْوَى وَأَنْتَ بِالْأَعْدُرِ
وَكَاتَعَاتَنَاهُنَّا حَلَّ الْهَجْرِ صُفتَ لِي دُنُوكَ مِنْ بُعْدِ وَصَلَكَ مِنْ هَجْرِ
وَأَوْلَيْتَ بِرِءَاءَ لَمْ يَكُنْ عِنْدَ وَاصِلِ

إِلَيْهِ وَإِنْ أَغْنَ نَصِيبَ مِنَ الشُّكْرِ

البيت الثاني : كأنه غريب المعنى .

ومعنى البيت الثالث: إنك تجود ليلاً، والمعاذير في الليل واسعة، لمشقة
الزيارة فيه، وتبخل نهاراً، والعذر صرتفع.

ومعنى البيت الرابع: إنني عاتبتك على الهجر، فأوهمتني وصلواتي
لأصل لها.

ومن مليح العبارة عن هذا المعنى:

... صُفتَ لِي دُوكَ مِنْ بُعْدِ وَوَصْلَكَ مِنْ هَجْرٍ^(١)

ولى أيضاً:

ضَنَّ عَنِي بِالنَّزَرِ إِذَا أَنَا يَقْظَانِ نُ وَأَغْطَى كَثِيرَةً فِي مَنَامِي
زَوْرَةً عَاجِلَتْ وَمَا هِيَ إِلَّا الرُّزْ وَرُسْقُمًا مُبَرَّحًا مِنْ سَقَامِي
وَالْتَّقِينَا كَمَا اشْتَهَيْنَا وَلَا عَيْنَ بَسِيَّةٍ أَنْ ذَاكَ فِي الْأَخْلَامِ
وَإِذَا كَانَتِ الْمُلَاقَةُ لَيْلًا فَاللَّيَالِي خَيْرٌ مِنَ الْأَيَّامِ
وَبَلَغَتُ الْمَرَامَ آيَسَ مَا كُنْتُ حَلَّ النَّائِي مِنْ بُلُوغِ الْمَرَامِ

ولى من قطعة مفردة:

وَسَدَّدَنِي كَفَهُ وَعَانَقَنِي وَنَحْنُ فِي سَكْرَةٍ مِنَ الْوَسَنِ
وَبَاتَ عِنْدِنِي إِلَى الصَّبَاحِ وَمَا شَاعَ التَّقَاءُ لَنَا وَلَمْ يَبْرِئْنِ
خَادَ عَنِي نَمْ عَدَ خُدْعَتَهُ لِمُقْلَتِي مِنْهُ مِنَ الْمِنَنِ

(١) انظر البيت كاملاً في الصفحة السابقة.

فَلَيْتَ ذَاكَ الْقَاءَ مَا زَالَ أَوْ
 لَيْتَ خَيَالًا فِي النَّوْمِ لَمْ يَكُنْ
 فَإِنْ تَكُنْ زَوْرَةً نَمْوَهَةً فَقَدْ أَمِنَ فِيهَا مِنَ الظَّنِّ
 وَزَارَنِي زَوْرَةً بِلَا عِدَةً وَمَا أَتَى وَقْتُهَا وَلَمْ يَحْسِنْ
 وَإِنْ تَكُنْ باطِلًا فَكُمْ باطِلٌ^(١) عَاشَ بِهِ مَيِّتٌ مِنَ الْحَزَنِ
 وَلِي، أَيْضًا وَهِي قَطْعَةٌ مُفَرْدَةٌ :
 بَأْبَى زَاثِرًا أَتَانِي جُنْحًا
 لَكِثُ قَلْبِي بُخْلًا حَلَّ وَضَنَا
 أَنَّهُ جَاءَنِي فَأَغْفَنَ وَأَقْنَى
 دَسَرَى وَاصِلًا وَعَيْنِي وَسَنَى
 لَلَّى أَنَّهُ أَتَانِي وَهَنَا
 زَوْرَةً مَا أَتَى بِهَا ذَلِكَ الزَّا
 هُوَ لَا يَعْلَمُ بِهَا وَمَا بِهِ فِيهِ
 فَهُنَّ تَعْلِيمَةٌ لِصَبَّ عَلِيلٍ
 وَهُنَّ مِثْلُ السَّرَابِ أَوْ مِثْلُ لَفْظِ
 فَارِغٍ مَالَهُ وَلَا فِيهِ مَغْنَى

معنى « وَعِنْدَ رُقادِي أَنَّهُ جَاءَنِي فَأَغْفَنَ » : لأن الرقاد هو السبب

فِي تَخْيِيل ذَلِكَ وَتَمْثِيلهِ ، وَإِلَّا فَهُوَ مَا لَا أَصْلَ لَهُ . وَأَقْنِي : مِنَ الْقِنِيَةِ . وَمَعْنَى «هُوَ لَا يُوَجِّهُ عَنْهَا» : أَنَّ هَذَا الطَّيفَ مِثَالُهُ لَا يَدْرِي بِمَا نَحْنُ فِيهِ ، فَلَا مِنَّةَ لَهُ . وَأَنَا أَيْضًا غَيْرُ عَالِمٍ بِذَلِكَ ، وَلَا ظَانَ لَهُ ، لَأَنَّ الظُّنُونَ إِنَّمَا يَكُونُ مَعَ قُوَّةِ الْأَمَارَاتِ لِلْعَاقِلِ ، وَلَيْسَ فِي النَّوْمِ إِلَّا الاعْتِقَادَاتُ الْبَاطِلَةُ الْمُبْتَدَأَةُ^(١) .

وَالْبَيْتُ الرَّابِعُ : قَدْ جَمَعَ بَيْنَ تَشْبِيهِ الطَّيفِ بِالسَّرَّابِ ، وَهُوَ وَاقِعٌ عَلَى مَا تَقْدِيمُ ، وَبَيْنَ تَشْبِيهِهِ بِالْأَفْظَرِ الَّذِي لَا مَعْنَى لَهُ ، وَهُوَ أَيْضًا وَاقِعٌ ، وَقَدْ تَقْدِيمَ نَظَائِرِهِ .

وَلِي وَهِي قَطْعَةٌ مُفْرَدَةٌ :

وَلِيلَةَ زُرْتِنَا وَاللَّيلُ دَاجٌ
عَلَى عَجَلٍ وَنَحْنُ كَلَى الْبَرَاقِ
وَجَدْتُ لَنَا يَتَقْبِيلَ الثَّنَاءِ
عَلَى رَغْمِ الْوُشَاءِ وَبِالْعِنَاقِ
تَلَاقَيْنَا بَأْرَواحُ ظِمَاءِ
عَشِيشَةً مَالِأَجْسَادِ تَلَاقِ
وَلَمَّا أَنْ تَفَرَّقْنَا رَجَعْنَا
إِلَى مَا نَحْنُ فِيهِ مِنَ الْفِرَاقِ
فَإِنْ يَكُ بَاطِلٌ لَا حَقَّ فِيهِ
فَكُمْ مِنْ بَاطِلٍ حُلُو الْمَذَاقِ

وَلِي مِنْ قَطْعَةٍ مُفْرَدَةٍ :

يَامَنْ جَفَانِيَ فِي الضُّحَىَ
وَأَزَارَنِي وَهَنَّا خَيَالَهُ
وَرَضِيتُ مِنْهُ بَأْنَ تَرَى
عَيْنَائِي فِي سِنَةِ مِثَالَهُ
وَحُرِمتُ مِنْهُ صَحِيحَهُ
فَهَوَيْتُ مُضْطَرَّاً مُحَالَهُ

(١) كَذَا فِي الأَصْلِ . يَرِيدُ الاعْتِقَادَاتُ الَّتِي تَنْشَأُ بِلَوْنِ فَكْرٍ سَابِقٍ وَلَا روْيَا .

هَلْ ضَامِنٌ مِنْكُمْ لَنَا ضَمِنَ الْجَيْلَ ، هَذَا بَدَأَهُ
وَلِي مِنْ قَطْعَةِ مَفْرَدةٍ :

تَرُورِينَا وَهُنَا وَلَوْ زُرْتِ فِي الصُّحَى

لَا طَلَقْتِ مِنْ ضِيقِ الْوَنْاقِ أَسِيرًا
وَمَا كَانَ مَا أَشْعَرَ تِبْيَهُ زِيَارَةً وَلَكِنَّهَا كَانَتْ لِقَلْبِي زُورًا
وَجَاهَتْ إِلَى لَئِيلِ الظُّرُوبِ فَخَيَّلَتْ لِعَيْنِي أَوْ قَلْبِي فَعَادَ قَصِيرًا
لِقَاءً شَفَى بَعْضَ الْغَلِيلِ وَلَمْ أَكُنْ
عَلَيْهِ وَإِنْ كُنْتُ الْقَدِيرَ قَدِيرًا
وَمَا كَانَ إِلَّا فِسْكَرَةً لَهُ كَثُرٌ وَذِكْرُ أَحَبَابِنِي الظَّلَامُ ذَكُورًا
وَلَمَّا انْقَضَى مَا صِرْتُ إِلَّا كَأْنَى
مَحْوَتُ بِصَوْءِ الصَّبْحِ مِنْهُ سُتُورًا

للبيت الثالث ما تناه المتنبي ، من ملاحة وسباطة .

ومعنى : ... ولم أكن عليه وإن كنت القدير قديرا
أنتي لا أقدر على إحضار الطيف متى شئت ، فقدرتي وإن كانت
واسعة ، تصيبني عنه .

والبيت الأخير : في غاية التحكم في القلوب ، لأن انتفاء الطيف بغير أثر
ولا بقية ، وإضافة الحشو إلى صوء الصبح : في موقعه وموضعه .

ولى من قصيدة أولها :

ما صيد قلبك [يوما] يا بنة الكليل^(١)

وزارني طيفها وفنا فاذهني زيارة كنت أرجوها فلم أتل
 هي الزيارة مفسولاً لاطعمها وليس فيها ناشئ من العسل
 لو كان طيفك أولاً زيارته على الحقيقة ما ول على عجل
 عطية النوم منع لا انفع بها للعاشرين وجود الطيف كابتعمل
 فكيف جئت إلينا غير سائرة هل جواد ولا حذج هل جمل
 وكيف لم توقظي صحبى وقد هجموا

برنة الحل أو من فضة الحل

نظير البيت الذى أوله « عطية النوم منع » من شعرى :
 زيارة الطيف ضرب من قطيعته ووصل من الآثار العين هجران
 وفضة الطيب : تصوّع راحته . وأردت فضة طيب الحل ، فإن
 الحل في نفوسها لا فضة لها .

ولى من جملة قصيدة ، وهى من قولى المتقدم :

طيفك ما أبصره يقطع ذات الأبرق
 خيل أنا نلتقي زوراً وليس نلتقي

(١) كما فى الأصل ، وفيه كلمة ساقطة ، ولعلها : يوما .

وَافِي إِلَيْنَا فِي الْكَرَى يُثْنَى إِلَيْهِ عَذْقِي
وَانْجُمُ الْلَّالِيلِ لَهَا شَعْشَةٌ فِي الْمَشْرِقِ
كَانَهَا سَاهِرَةٌ حَائِرَةٌ لَمْ تَطْرُقِ
عَيْنُ رَقِيبٍ مُشْفِقٍ مُوَكِّلٍ بِالْحَدَاقِ
أَعْجَبَ بِهَا زِيَارَةٌ لِعَانِفٍ لَمْ يَرْفُقِ
بَاطِلَةٌ كَانَهَا هُنَاكَ مِنْ مُحَقَّقِ
كَانَ شَوْفَا قَادَهَا وَهِيَ كَمْ يُشَقِّ
بِتُّ بِهَا أَغْلُوْطَةٌ أُمْسِكُ مِنْهَا رَمَقِي
وَمُخْفِقٌ كَانَهُ مِنْ طَمَعٍ لَمْ يُخْفِقِ
لَتَ دَنَا الصُّبْحُ إِلَى وِسَادِهِ كَالْيَقَّافِ
أَضْحَى يَمْضِي كَفَهُ هَلَى الدَّجَاجِي مِنْ حَنَقِ

[خاتمة]

قال سيدنا أَدَمُ اللَّهُ عُلُوْهُ :

قد اتهينا إلى حيث يحب قطع الكتاب عليه .
وقد أخرجت من ديوان شعرى في وصف الطيف ثلاثة وخمسة
وعشرين بيتاً، وهذا أكثر عدداً مما أخرجناه للبحترى ، على شفته بوصف
الطيف ، ولهجة به ، فإن الذى أخرجناه له مئتان ونinet وعشرون بيتاً ،
بل هذا المبالغ ، الذى اختصنا به ، يزيد عدداً على كل ما سُطِرَ في هذا المعنى
لأكثر من الشعراء .

فأما التجويد فالتقدير ينخرجه ، والفتنة مع الإنفاق الحكمة فيه ،
ولعله إن اتفق مما فيها يمدده الله تعالى من مهلة ، ويطيله من مدة ، نظم شيئاً
في هذا المعنى ، ضمناه إلى هذا الكتاب ، وأضفناه إليه . والله تعالى ولي
ال توفيق ، وهو حسينا ونعم الوكيل .

والحمد لله رب العالمين ، وصلاته على سيدنا محمد وآلـهـ الطـاهـرـينـ وـسـلامـهـ .
فُرغ من نسخه شهر ربيع الآخر ، سنة إحدى وتسعين وخمسة
بمدينة حلب ، حرستها الله تعالى ، وخَلَدَ ملَكُ مالِكِها .

فهرس الموضعات

صيغة	صيغة
٦١	٣ إهداء الكتاب .
الشريف الرضى في طيف الخيال .	٤ تقديم .
٧٥	١٣ مقدمة المؤلف .
في طيف الخيال .	١٧ ما جاد في طيف الخيال في شعر
١١٦ خاتمة .	أبي تمام والبحتري .

فهرس الأعلام

٩٤ ، ٨٩	الأمدي : ٦٢٣٤٢٠٢١٩٦١٨٦١٧
جران العرد : ٩٠٧٤١٠٦٢١٠٦٠	٤٣٨٤٣٤٤٣٣٤٣٢٦٢٨٤٢٥٢٤
جرير : ٤٩٦٤٨٦٤٧٤٦	١٠٧٦١٠٦٤٧٦٤٩٤٣٩
الحمدوزي : ٧١	ابن المعتز : ٣٩
المخايم (الحسين بن الصحاك) : ١٠٥	أبو تمام : ١٠٦٦٢١٦٢٠٦١٧٦١٥
وعبل الخزاعي : ٤٢	١٠٧
الستجاني (أبوععل محمد بن العلاء) : ٢٧	أشجع السلمي : ٨٨
السيد الحميري : ٦٧	الأقرع بن معاذ : ٧١
الشريف الرضى : ٦١	امرؤ القيس : ٢٦
طرفة : ٤٨ ، ٤٧	البحتري : ٣٠٦٢٩٤٢٨٤٢٧٤٢٥٦٢٣
العباسة : ٦٧	٤ ٣٨٦٣٧٤ ٣٥٦٣٤٤٣٣٤٢٢٦٢
عبد الصمد بن المعدل : ٧١	٥ ٧٠٦٩٨٦٠٦٤٩٤٤٤٣٤٢٦٠

السمكية .	١٠٦	معيد بن الأبرص :	٦٧
مالك بن أسماء :	٤١	العتاب :	٤١
المجنون :	٦٦	عمر بن قيادة :	٦٦٤٦٥
محمد بن يحيى :	٦٧	الهلابي (محمد بن زكريا) :	٦٧
المرزباني (أبو عبد الله محمد بن عمران)	٦٧	الفراء :	٢٩
مسلم بن الوليد :	٤١	لفرزدق :	٩٠٦٩٤٠٧٠
النظار الفقعمي :	٦٧	طراب :	٢٩
النمر بن تولب :	٤١	قيس :	٧٠
يمقوب :	٢٩	قيس بن المطيم :	٣٥٣٤

فهرس الأماكن

بغداد وجرة :	٦٦	الأبارق :	١٠٦
حاجر :	٧٦	الأبرق :	١١٣
الحسين :	٩٢٠٢٠	الأبرق :	٨٧
حزوي :	٤٤	الأبواء :	٧٩
خبت :	٤٦	أذرعات :	٥٠
الحيف :	٩٥	لضم :	٤٦
ذوسلم :	٨٧	اللوى :	٧٥٦٦٠٠٥٥
رامتن :	٨٣	بصرى :	٥٠
الرقين :	٨٥٦٧٣	بغداد نخلة :	٦٧

العلث :	٢٥	رملة :	٢٠
الغور :	٨٦	زروود :	٨٦٠٨٤٠٧٣
الغوير :	٨٧	الزوراء :	٨٢
فلج :	٥٢	الشام :	٤٦٠٣٧٠٢٣
القنان :	٦١	شبيث :	٣٢
كاظمة :	٨٣٠٨٢٠٨١	شعب :	٦١
كبك :	٦٧	الصفاح :	٦٧
مربيخ :	٨٤٠٧٩	الطف :	٨٢
المطال :	٢٠	عالج :	٥٤٠٣١
مني :	٨٣٠٧٩	عائنة :	٤٩
نجد :	٨٦٠٨٢٠٧٣٠٣١	العراق :	٣١٠٢٣
وج :	٨١	عرق :	٨١
يبرين :	٥٢	عميق :	٩٨٠٧٩٠٧٣
اليفاع :	٩٧	عكيرا :	٢٥

فهرس الفوافي

الصفحة	القافية	الصفحة	القافية
الحادي		الألف	
٤٦	جنحا	٩٦	أراها .
	الدال	١٠٠	رولى .
٦٩	زروود .	٤٢٠٤١	يسراها .
٥٠	هاجد .	٧٥٠٢٥	الكري .
٨٤،٨٣	هجود .	٥٠	مسري .
٩٣،٩٢	يعود .		الباء
٣٧	أفدا	٤٩	أعج .
٥٥،٥٤	إفسادا .	٦٩	تجنب .
٧٣،٧٢	بردا .	١٠٥	تحب .
٢٩	الصدا .	١٠١	الحلايب .
٦٨	تسهادا .	٧١	حبيب .
٣١	يهدي .	٩٩	القلب .
٥٦،٤٣،٤٢	المتباعد .	٤٢	يشرب .
٤٤	متبعاد .	٤٩	مجائب .
٦٧	بمععاد .	٦٢	كبكب .
٥٥	البعد .	٣٦	قريب .
٥٥	سعاد .	٤٩	حبيب .
٣١	عموده .	٦١	شغب .
٥٥	مطروح .	٨٥	الشعب .
٥٦،٥٥	المجود .	٥٠	ركاب .
٨٢،٨٠	الودي .		الباء
	الرأه	٤٦،٤٥	الأوقات .
٥٧	أشهرا .		الجم
١١١	أسيرا .	٥٤	المهوج .
٥٨	اغتراره .	٨١	الفجاجا .

الصفحة	القافية	الصفحة	القافية
	الصاد	١٠٦	أنكارها .
٧٣	أقصا .	٩٢٦٩١	أوكارى .
	العين	٤٤٤٤٣	بكر .
٢٧	أروع .	٦٨	جري .
٥٠	هوابع .	٩٠	المذارا .
٥١	مبرع .	٧٢	خاطر .
٨٦	هزينا .	٢٤	ذعره .
٧٥٠٧٤	مضجعى .	٨٢	زائو .
١٠٢	المقمع .	٢٨	الزائر .
	الفاء	٢٦	الزائر .
٧٢	أوطف .	٥٧٦٥٦	زوار .
٥١	مطيقه .	٢٥	سرى .
٥٢	وكيف .	٥٨	سكرى .
٥١	وارق .	٦٩٦٦٨	سهر .
٥٢٠٥١	يواقي .	٧٦٦٦٢٠١٦	الطائر .
٥٢	بكسوف .	٥٨	غوروه .
	الكاف	٢٧	الغمر .
١٠٦	الأبارق .	٥٧	فاتره .
١٠٣	الأبرق .	٦٠	قدر .
٩٧	أخلقا .	٦٩	الفطر .
٥٢	الأرق .	٥٢	نهاره .
١١١٦١١٠	البراق .	١٠٨	هجر .
٤٢	تشوق .	٩٠	يزد .
١٠١	الغرق .	١٠٨٦٣٠	يسرى .
٥٢	تمزقا .	٢٦	شهراء .
٤٠	خفوق .	٥٨	يقصر .
٢٢	سملق .	٦٨	
٩٨	طروقا .		
٢٢	العشاق .		
١٠١	مشرق .		
٩٦٦٦٤٦٠	يطرق .	٧١	
			الواس .
			كاس .

الصفحة اليم	القافية	الصفحة	القافية
الكاف		اللام	
١٠٧	اكتام .	٢٣	ذكرك .
٧١	أنامها .	٧٩،٧٨	خيالك .
١٠٧،٢١	الأيام .	٩٥	عطائك .
٨٤	بهم .		
٧٠	حرام .	٧١	أجلها .
٦٠٠٥٩	حزومها .	٤٣	اض محل .
٨٣	الحلم .	١١٢	أنل .
٩٨	الحلما .	٣٣	أواتله .
٣٢	خياما .	٨٩	باطله .
٨٧	سلم .	٩٧	تخيل .
٨٨	الظلام .	٢٢	الخيال .
٧٣	الغرام .	٨٢٠٨١٠٦٥٦٤	خيالا .
٩٥	كلامها .	١١١	خياله .
٩٣	لامة .	٥٣	خيالها .
٤١	مسلا .	٦٦	خيالها .
١٠٩،١٠٨	منامي .	٨٧٠٥٣	رسوها .
٧٠	نیام .	٧٠	زلا .
١٧	نیم .	٥٤،٥٣	سرباله .
التون		٥٤	سلا .
٤١	حصن .	١٠٥	طويلا .
١٠٣	سنة .	٦٧	كحل .
٩٨	العيونا .	٢٠	مشفول .
٣٤	معنى .	٢٠	المطال .
٧٢	معنى .	٤١	المفاصل .
١٠٩	مني .	٧٩	نزلا .
١٠٩	الوسن .	٥٤	وصاله .
٨٦	يطرقني .	٥٣	الوصلان .
٨١	يقطنان .	٤٧	وصل .
٤٠	يهواف .	٥٣	يفعل .



بحمد الله تعالى وحسن توفيقه ، تم طبع كتاب :
« طيف الخيال »

للعلامة علي بن الحسين بن موسى الملقب بالشريف المرتضى
مصححاً بمعرفة لجنة من العلماء برئاسة الشيخ أحمد سعد عل
بشركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر
(١ / ٢٠٠٠ / ١٩٥٥)

القاهرة في { ١١ رجب ١٣٧٤ هـ
٦ مارس ١٩٥٥ م }

مدير المطبعة
رسم مصطفى البابي

ملحظ المطبعة
محمد أمين عمران

